اللعنة السابعة

مجموعة قصصية

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

المدير العام
محمد صلاح

إشراف عام
إيناس الدسوقي

مدير النشر
فريدة الجوهري

الطبعة الأولى
الكتاب : اللعنة السابعة
تأليف : مجموعة مشتركة
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
مصمم الغلاف : محمد علي
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٢٥٢ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6599 - 64 - 2

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مقدمة

إن مابين يدك الآن من سطور.. هو نتاج عمل سنتين من المثابرة والاجتهاد على موقع التواصل الاجتماعى (فيس بوك) الذى أردنا أن نجعل وقتنا عليه لنا ول عزيزى القارئ ذا فائدة.

خرج منا هذا العمل كنتاج فكرتنا: سبع قصص بسبع لعنات، لسبع كتاب فى بداية طريقهم الطويل فى بحر الأدب والكتابة، سبعة حقهم عليك القراءة، وامتنانًا منك لهم النقد أو الإشادة أو حتى عدم القراءة لهم مرة أخري!

لا تخَش من لعناتهم هنا فى هذا الكتيب، فهى موجهة لعالم آخر، لن تصيبك، هاؤلاء الكتّاب السبعة اجتمعوا فى كيان يسمى (عندما يبتسم الجحيم). ولمن لا يعرف جروب عندما يبتسم الجحيم، نريد أن نقول إن أعظم غاية به هى: مساعدة المواهب، وأخذ خطوة جرأة الكتابة بين جو يحيط به التشجيع والدعم اللغوى، والنقد الهادف وأيضًا لا يخلو من روح الترفيه داخل إطار الحروف.

نتمنى أن ينال العمل إعجابكم، ونرحب بتشريفكم لنا فى معمل صناعة حروفنا المتواضع جروب عندما يبتسم الجحيم:

/Www.facebook.com/groups/1545944285697614

أحمد حسن (الكونت)

اللعنة السابعة

أحمد حسن

شروق ماهر

خالد حمدي

مريم سامي

ميار البكري

شيماء البكري

أحمد القن

تحت الأنقاض

أحمد حسن

يوم شاق آخر انتهى لا أدرى هل كبرت فى العمر؟! أم أن العمل مرهق للغاية؛ فمنذ وصولى إليه أنظر إلى عقارب الساعة التى تمر كسلحفاة تبلغ من العمر ثلاث مائة عام.. حتى تصل إلى الخامسة مساء فأجرى مسرعاً لسيارتى و أنطلق إلى منزلى. إن ما بينى و بين هذا المنزل عشق غريب لا أعلم هل هو منطقى أم ماذا؟! أقضى أسعد أيامى فى العطلات به، لا أغادره أبداً.

اسمى هادى أبلغ من العمر السابعة و الثلاثين، أعيش وحيداً، تمت خطبتى منذ عام من فتاة أحببتها اسمها سيدرا، و أنا على وشك إتمام زواجى آخر هذه السنة. لم يكن أمر زواجى بالنسبة لى بالسهل؛ فأنا أحب الوحدة بل أعشقها، لكن ضغوط والدى الذى يعيش فى الإسكندرية هو سبب زواجى لهذا بحثت عن شخصية أحبها فكانت هى. إن العقار الذى به منزلى مكون من خمسة طوابق، يسكنه خمسة عائلات لا علاقة بيننا سوى التصافح والسلام عند الالتقاء فى الدرج يومياً.

الطابق الأول يسكنه الأستاذ حمدى و هو ممثل مشهور، لا تجده كثيراً فى الشقه نظراً لانشغاله الدائم.. بالطبع تزوره الحسناوات و الكثير من الأوجه الجديدة الطامعة فى الشهرة لكن لا أكترث للأمر مع أن حارس العقار كثيراً ما كان يلمح للأستاذ حمدى عن طول مكوث الحسناوات لديه!

الدور الثانى تسكنه الحاجة دولت سيدة فى الثمانين من عمرها، أرستقراطية، هادئة.. لا أدرى من أى جهة تلقب بهذا. لا ترتدى حجاباً بل ترتدى ملابس فتاة فى العشرين من عمرها، و سليطة اللسان بسبب كبر سنها.

الطابق التالى يسكنه الشاب مدحت و زوجته الحسناء، ولا أعلم عنهم كثيراً فهم قد اشـــتروا الشـــقة تقريباً منذ عام ولا يتكلم عنهم عم آدم كثيراً. الشقة التى قبلى مباشرة تسكنها شيرين، توفى والدها منذ عام تقريباً، فتاة هادئة، كانت حبى الأول فى أيام المراهقة لكن بعد قرار أبى وأمى ترك القاهرة و الاســـتقرار فى الإسكندريه، تزوجت هى، و نسيت أنا الأمـــر تماماً.. علمت بعدما عدت أنهـــا تعيش هنا بمفردها و أن زوجها قد توفى، يالها من سيئة الحظ! زوجها ووالدها توفيا.. جاءت مصرّة أن تذكرنى بما كان بيننا، لكنى تظاهرت بالغباء و البلاهة أمامها، لا أريد أخذ دورى فى الحظ السيء.

أما أنا فكما تعلمون عدت إلى حبيبتى، أقصد شـــقتى، كان الســـبب المعلن لوالدى هو العمل لكن الســـبب الرئيسى هو أنى لا أشعر بأى راحة خارج هذه الشقة، سأعد عشائى ثم أجرى مكالمة لسيدرا ثم أخلد للنوم..

- كيف حالك حبيبتي؟

- بخير يا هادى بالطبع تحدثنى قبل النوم

- تعرفين يا حبيبتى أنى أعود مرهقا للغاية من العمل و أعد طعامى، فكما تعلمين أنى أعيش بمفردى.. .

ما يهون الأمر علىَّ هو اقتراب موعد زفافنا.

أعلم هذا و أتذكر، لا تخافى لم أنسَ الأسبوع القادم سيأتى العمال و معهم الأثاث الجديد.

- حبيبى كنت أود أن أقول لك شـــيئا رغم علمى برفضك الشديد، عـــرض على والدى أن نتزوج فى شـــقة فى عمارتنـــا الجديدة التى بالقرب منهـــا، ما رأيك فى هذا؟

هنا شعر هادى بتحرك المقعد الذى يجلس عليه..

نظر إلى الخلف إلى الجدار الذى عليه صورته المعلقة و هى تهتز..

شعر أن هناك زلزالا لمدة خمس ثوان، قبل أن يتوقف الاهتزاز قال لها: سيدرا أشعر أن هناك زلزالا.

- ماذا؟! زلزال؟! يبدو أنك تتهرب من الإجابة على سؤالى.. .

- لا لا أتهرب لقد شـــعرت بهذا حقاً و أنت تعرفين إجابة الســـؤال.. أتذكرين بعـــد خطوبتنا عندما قال لى والـــدك أن أقوم ببيع هذه الشقة و أن أشـــترى أخرى بالقرب منكم؟

- أعلم واعتقدت حينها أنك لا تريد التفريط فى الشقة، لذا عرضت عليك الاحتفاظ بها و أن نسكن فى شقتنا الجديدة.

- لا لا ولاأريد فتح هذا الموضوع مرة أخرى..

- كنت أعلم ردك هذا و لكن لا بأس.

- أحبك و سأعيش معك فى أى مكان، تصبح على خير.

أنهيـــت مكالمتى و ذهبت إلى غرفتى لأخلد فى النوم لكن قبل أن أذهب فتحت التلفاز لأشـــاهد نشـــرة الأخبار لأرى هل يوجد أى زلزال حدث أم لا..

لا يوجد أى ذكر لهذا الأمر!!

يبدوأن الإرهاق هوما جعلنى أشعر بهذا، أغلقت التلفاز والأضواء ونمت..

استيقظت على كابوس مرعب؛ فقد كانوا يقفون فوق رأسى و يشدون بأيديهم إلى الجدار، لم أتبين ملامحهم كانوا كالكائنات اللامعة و هيئتهم قبيحة للغاية، ظننت أنى مت و أنه قد حان وقت الحساب ولكن أذان الفجر أيقظنى.. . مرت الأيام حتى أتى يوم زفافى على سيدرا وتمت الزيجة لكن لم أكن أعلم أن وجودها سيكون فارقاً إلى هذا الحد، فهى ملاك على شكل إنسانة هادئة، رومانسية، تحاول إسعادى بأى صورة.. بدأت لا أستطيع العيش بدونها.. وبعد شهر بدأت تظهرعليها أعراض الحمل، سأصبح أباً! لم أكن أعلم معنى هذا الشعور إلا بعد سماع هذا الخبر منها، تحركت مشاعر جديدة.. حينها عرضت علىَّ الأمر مرة أخرى بأن ننتقل للعيش فى الشقة التى بالقرب من والدتها حتى تستطيع الاعتناء بها طوال وقت الحمل.

أعترف أنى كنت أحبها قبل الزواج لكن بعده أصبحت عاشقاً لها. قالت لي:

- هل مازلت مصراً على رأيك؟ صدقنى لن أحزن لكن أعلم أنك تخشى على و على ابننا أيضاً.

كانت الساعة قاربت الواحدة صباحاً، فكرت لدقيقة أو أكثر، منزلى الذى أعشقه أم سيدرا و راحتها؟! حسمت أمرى ولأول مرة أختار جانباً آخر غير منزلى و قلت لها:

- موافق يا حبيبتي.

فرحت بشـــدة و نهضت مســـرعة لتعانقنى ولكن فجأة سمعت صوت انفجار قوى ارتجت الجدران و اهتزت الأرض من تحتى و أظلمت الدنيا، و انهار المنزل: ضجيج، بكاء، جراح، ظلام.. لا أرى شيئاً، حطام يجثم فوقى لا أســـتطيع الحراك.. طوال حياتى مصـــاب بفوبيا الأماكن الضيقة، أشعر أنى داخل قبر و يضيق على الحطام و الأنقاض و الظلام الدامى... كنت أتجنب دائماً اســـتخدام المصاعد خشية سقوطها، إن لم أمت دفناً ســـأموت هلعاً. أدعو الله أن أظل حياً حتى يرفعوا عنى الأنقاض.

- أين سيدرا؟!

سمعـــت صوتها، الحمدلله أنها على قيد الحياة، اصمدى حبيبتى.. . سنخرج أحياء، دقائق و يرفعون الأنقاض..

سيدرا: هادى أنا أموت الآن، أنا أنزف كثيراً.

هادي: بالله عليكِ تماســـكى ســـنخرج معاً أرجوكِ ســـيدرا حبيبتى أرجوكِ..

ثم فجأه سمعت صراخا، إنه صوت الأستاذ حمدى.

كنت أظن أنه سمعنا أنا و سيدرا بعد إفاقته من الصدمة ولكن ماذا يعنى بجملة من أنتم؟!

ثم أكمل كلامه:

- حسناً حسناً سأقول لكم الحقيقة، لم يكن ذنبى ما حدث سأروى لكم، ولكن أخرجونى من تحـــت الأنقاض، إن مجالى هو من أجبرنى على أن أكون هكذا..

حلمى من أول الطريق أن أعمل بشـــرف و أمانة، لكن لم أنجح وفشلت و خسرت أموالاً كثيرة..

لم أكن أبحث عن المال فقط، كنت أبحث عن الشـــهرة و النجومية، أول عمل لى ظهرت فى مشـــهد خمس دقائق ولم يطلبنى مرة أخرى حتى جـــاء اليوم الذى جاءتنى دعوة لحفل فنى ففرحت كثيراً، كانت فرصة عظيمة للتعرف على شـــخصيات مشهورة فى هذا المجال.. ذهبت ومعى زوجتى، كان الحفل مبهراً.. من الممثلين المشهورين والمنتج يجلس بينهم كأنه ملـــك متوج، والكل يتودد له ويتقرب منـــه حتى الممثلين الكبار، فهو بالإضافة لشـــهرته كمنتج لديه صـــلات و معارف من رجال الدولة والمسؤولين و الصحافة.

صافحنـــى فى غرور كبير ورمق زوجتى التى كانت بجانبى ثم أعاد نظره علىَّ فى نظرة اهتمام غريبة ثم ابتســـم، لم أفهم حينها مغزى هذه الابتسامة!

ثم مال على شخص يبدو أنه مساعده أو شخصية قريبة منه و همس لـــه فى أذنه فنظر باتجاهنا هذا الشـــخص ثم نهض قادماً جهتنا، و فى كل خطوة من خطواته كان قلبى يخفق بشـــدة خوفاً و توتراً..

سألنى: ما اسمك؟

أجبته: حمدى شكرى.

أومأ برأسه فى استنكار ثم قال:

– لا أظن أنى أتذكر اسمك لكنى أعتقد أنى شاهدتك من قبل..

- نعم يا سيدى لقد مثلت عدة مشاهد و حلمى أن أصبح ممثلا كبيرا، و أرجو أن أنال هذا الشرف مع مخرجنا الكبير.

قاطعنى قائلاً:

- حســـناً حسناً إن السيد يدعوك على العشاء بمنزله الخاص، الدعوة لك و لزوجتك الساعة العاشرة مساء، لا تتأخر لأن السيد لا يحب التأخير ولا يحب من لا يحترم مواعيده..

و قبل أن أجيب تركنى و عاد بجوار المخرج و همس له فى أذنه فأشار له المخرج برأسه يعطيه الرضا.. و فى العاشرة مساء اليوم التالى كنت أمام المنزل. فتح لى الباب مدير المنزل و أدخلنا فى الردهة و قال: ســـيأتى الأستاذ ثم غادر المنزل ولا أعلم لماذا!

ثم حضر الســـيد.. لم يصافحنى و جلس أمامنا و ألقى لى بملف و قـــال: اقرأ هذا العمل و اختر أى دور تحـــب أن تمثله فيه إلا دور البطل، فغرت فمى، لم أصدق ما قاله، شـــعرت أن الدنيا تدور حولى.. . هل هذا حلم؟! أم أنه حقيقة؟!

نظرت إلى زوجتى التى كانت تملؤها السعادة..

ثم أكمل:

- ابدأ القراءة و اسمح لى أن أتحدث مع زوجتك فى الدور العلوى حتى تنتهى من القراءة، ثم ضحك ضحكة شيطانية..

نظرت لى زوجتى فى رعب، قلت:

- اذهبى حتى أنتهى من القراءة..

قالت:

- ماذا؟! هل أذهب؟! هل أنت موافق على هذا؟!

قلت:

- نعم اذهبي.

كنت أسمع صراخها و توسلاتها حتى يتركها، ولم أحرك ساكناً، لم أهتم ولم أعتنِ، كان كل همى أن أصبح نجماً مشهوراً..

هبطت من الدرج سريعاً تبكى و ملابسها ممزقة وأنا كنت مازلت أقرأ، بكت و بصقت علىَّ و ذهبت..

وعندما أتى السيد قال:

- أى الأدوار اخترت؟

أجبته على الفور:

- اخترت هذا الدور..

وبعد شهر انتهيت من تصوير دورى، كانت قد تركتنى زوجتى بالطبع و طلبت الطلاق ولم أستطع الرفض.

وعند عرض الفيلم فشل فشلاً ذريعاً ولم يطلبنى أحد بعدها لأى دور.

لكن أصبحت أعرف الطريقة جيداً، و كيف أقتنص الأدوار، قررت حينها أن أصبح مساعده الأول، آتى له بهن، و آخذ دورى فى أى فيلم.

نعـــم لم أصبح إلى الآن ممثلاً مشـــهوراً، لكنه علـــى الأقل اسمى فى القنوات، لم يكن هنـــاك طريق آخر لى.

انتهى الأستاذ حمدى من سرده و أنا أسمع..

ثم انتبهنا أننا محبوسون تحت الأنقاض، ودوت صرخة فجأة جعلتنى أقسم أن ما حدث كان مريعاً حقاً..

- هاااااادي سيدرا ستموت؟

- لا حبيبتى ستعيش من أجل ابننا..

و إذ بصرخة أخرى كانت هذه المرة الســـيدة دولت التى تسكن الدور الثانى كما تعلمون.

قالت:

- مـــن أنتم، ماذا تريدون؟! ثم مهلاً مهلاً، أليس هذا ما قاله حمدى؟! بنفس الصرخة و نفس الســـؤال، ثم حسناً حسناً سأسرد قصتى.. .

كنا توأم دولـــت و ألفت، بارعتان فى الجمال بـــل فاتنتان من أصل إنجليزى، و منه كان جمالنا، متطابقتان جداً لا يســـتطيع تفرقتنا عن بعض أحد حتى أمنا.

لكن بمجـــرد التعامل معنا و الحديث تســـتطيع، حيث كانت ألفت متميزة عنى بخفة دمها و روحها التى تجذب أى شخص لها، فهى لا تعتمد على جمالها، إنما اهتمـــت بروحها و تهذيبها، أما أنا فقد كنت مغرورة لأقصى درجة، لم أكن أعلم أن هذا ســـيجعلنى أخسر كثيراً، خصوصاً فى المناسبات عندما يلتفت الكل حولها ويتركوننى، فلنا ملامح واحدة

ووجهنا متطابق لكنهم يعشـــقون الحديث معها و أنا يجتنبون التعامل معى، و حتى أن كل العرســـان الذين يأتون كانوا يطلبونها هى فقط للزواج، أما أنا فلا صديق لى حتى. تزوجت هى من شـــاب مرموق يعمل فى وزارة الخارجية وســـيم للغاية، أما أنا فانتظرت بعدها أربع ســـنوات حتى تزوجت من عصام، لم يكن من مركز كزوجها ولا حتى مســـتواه الاجتماعى، لم أســـتطع الانتظارن و هكذا كنت ســـأنفجر من الغيرة. عارض أهلى كثيراً عصام نظراً لتدنى مستواه المهنى ولكنى أصررت عليه بالطبع، لم أكن سعيدة فى زواجى وهى كانت تعيش سعادة غامرة لكن لم يرزقها الله بالذرية طوال أربع سنوات، أما أنا فقد رزقنى الله توأمًا بعد ســـنة من الزواج، أرضى ذلك غرورى كثيراً؛ إذ أصبحت أتميز عنها فى شـــئ لكن لم يدم هذا الرضا كثيراً؛ فهى كانت راضية بقسمة الله و ما كتبه لها جداً، أما أنا فكان حقدى عليها و على زواجها من ياســـر يكبر. حتى أتتنى هذه الفكرة فى ليلة اتصلت بها متعللة بأن عصام أصيب فى حادث، وأنه نقل من الحادث فى مستشـــفى، كنت أعلم أن زوجها مسافر للخارج فى رحلة عمل، و طلبت منها أن تأتى بسيارتها لنذهب إلى عصام فى المستشفى، أتت ســـريعاً و تركت الأطفال، اصطنعت التوتر و القلق والبكاء، أدارت محرك الســـيارة و انطلقت وهى لا تعلم ماذا خططت لها، ســـألتنى عن الحالة، قلت لها إنه بين الحياة و الموت فى مستشـــفى على الطريق الصحراوى، فى هذه اللحظة رن هاتفى، إنه عصام عاد للمنزل. أغلقت الهاتف حتى لا ينكشـــف أمرى، كنت أصرخ فى وجهها لتســـرع منطلقة للحاق به، و بالفعل كانت تقود بســـرعة جنونية.

هنا قررت أنا فك حزام الأمان الخاص بها و تأكدت أن حزامى مازال مغلقاً ودفعت يدها بقوة من على مقود السيارة لتختل عجلة القيادة و تنقلب السيارة. أصبت أنا بالفعل إصابات بالغة، أما هى فقد فارقت الحياة وقت التنفيذ، وضعت بطاقتى الشخصية فى حقيبتها و أخذت بطاقتها، كذلك الهاتف المحمول، تأكدت من استبدال كل شئ حتى الملابس حتى أتت الإسعاف و تظاهرت بفقدان الوعى و ماتت دولت على الورق و عاشت ألفت.

ثم تركت عصام و أولادى و حياتى التى عشتها رغماً عنى و ذهبت للعيش مكانها مع ياسر، فى البداية شعر بتغيير لكنه لم يشك فى أمرى لكن لم يتحلمنى و كان يجب عليه تقبل عدم الإنجاب، فهرب عشقه لى، أقصد لها فلم يستطع العيش معى و طلقنى بعد خمس سنوات، وبعدها انتقلت للعيش هنا بأسى، فلا أحد يعرف قصتى هنا ولا أنا أعرف أحدًا.

كان لدى أموال أخذتها من ياسر بعد انفصالنا، مبلغ جيد يكفى للعيش، أما عصام و الأولاد لاأعرف عنهم شيئاً الآن إلا أنه تزوج بعد موتى بسنة و سافر خارج البلاد. سمعت همهمة ثم صوت دولت تقول: ماذا تفعلون بي؟! صرخت لكن هذه المرة كانت أشد و أقوى، و كأن تلك الصرخة حركت زلزالا فقد انتفضت الجدران واهتزت الأنقاض. سقطت فى ارتطام شديد، فجأة شعرت بجسد جانبى تحتها، من هذه؟! تحركت و أزحت الأنقاض عنها لكنى لا أدرى شيئا ثم سمعت صوتها الضعيف، أنا شرين يا هادى، أخيراً التقينا بمفردنا! سنوات، سنوات وأنا أحلم بهذه اللحظة و تحقق هذا الحلم الآن!

و قبل أن تكمل كلامها ظهرت أمامى، أضيء المكان من حيث لا أعلم، ثم ظهر من أضاء المكان. مخلوقات مضيئة يمشـــون على أربع، لا تهمهم الجاذبية، يســـيرون فى أى اتجاه ولا ملامـــح لوجوههم، أطرافهم طويلة للغاية يقـــف كل واحد منهم فوق رأس الذيـــن تحت الأنقاض بجانب شيرين و مدحت و دولت و حمدى و أمامى سيدرا، و يقف كل واحد منهم فـــوق رأس أحدهم، إلا أنا. وجميعهم صرخوا تلك الصرخة إلا ســـيدرا، فقد كانت مغلقة العينين، لا أعلم هل ماتت؟ أم هى فى غيبوبة أم ماذا ؟!

تحركت الكائنات ووقفت فى مواجهتهم، رفع الكائن يده أمام شرين ثم قبضها باتجاه وجهها فقالت شرين بصوت مرعب:

- حسناً حسناً سأقول!

- نعم أنا من دبر الأمر مع مدحت و هى فهم يمتلكون مركزا طبيا، و طلبت من مدحت أن يأتى لى ليلاً عندما كانت زوجته تتابع ورديتها فى الإشـــراف، إنهم يتاجرون فى أعضاء الأطفـــال حديثى الولادة، تعلمون كم أعشق هادى و تعلمون أيضاً أنه أصبح ملكها و يعشقها بل أكثر.. إنها تحمل الآن طفلة.

إذاً اكتملت الصورة الآن.. حتماً ستقتنع سيدرا بالولادة فى المركز ويتم حجزها بالعناية الكاملة وبعد الولادة، مدحت و هى سيكونان برفقة الطفل، ولكن هذا لن يحدث كثيراً؛ فلقد اتفقت مع مدحت بأن يحقنها بعقـــار يجعلها لاتتوقف عن النزف حتى تفـــارق الحياة بعد الولادة، هم سيفوزون بالطفل و أنا سأفوز بهادى.. نعم كنت أحتاج لأجعله يعود لى ولم يكن ليعود إلا بهذه الضربة القاسية.

بعد أن انتهت شـــرين من الحكـــى زأر الكائن الذى كان يقف أمامها زئيراً ارتجت له الأنقاض، وأخرج من فمه هالة ســـوداء باتجاهها، وإذ بها فى الحال مع الأنقاض تهـــوى كذلك مدحت وزوجته اللذين لم يكونا بحاجة لسرد قصتهما؛ فقد حكت شرين كل شئ عن جريمتهما، لم يتبقَ سوى أنا و سيدرا. التفت كل الكائنات أمامى ووضعوا أيديهم كلها فوق بعض، وظهر الوميض هذه المرة باتجاه رأسى و سمعتهم:

- أنت المختار منذ سنوات، أنت خادمنا وحارس العقار، نحن من نجمع الأشـــرار هنا ثم نجهز عليهم فهم يســـتحقون ذلك، سيســـجنون داخل جدران البيت للأبد، زوجتك ســـتلحق بهم لأنها كانت تريد إخراجك من المنزل فهى تســـتحق هذا جزاء . وآدم هذا لم يكن إلا شـــخصاً مجنداً معنا، بعد دقائق من الآن ســـيعود المنزل كما كان لكن خالياً و ســـتكون فوق كل شـــقة لافتة مكتوب عليها للإيجار، ليس عليك يا هادى سوى استقبال من يريد السكن، لا تقلق ستجد نفســـك توافق ولا تستطيع الرفض، ســـنجعلك تفعلها لأنك لا تعلم ماذا يخبئ كل ســـاكن جديد من خبايا حياته القذرة لكننا نحن نعلم! أنت عشـــقت هذا المنزل لهذا سنجعله ملكا لك أمامهم وحارســـه لنا.. وفجأة وجدتنى أجلس فـــى غرفة فى الطابق الأول التى كان يستقبل بها عم آدم السكان وهم يقفون على الجدار على أربع كعادتهم ووميضهم يحيط بى، نظـــرت فى المرآة فلم أعرفنى؛ فقـــد كنت على هيئتهم! لكن لا يرانـــى الناس هكذا.. ودق جرس الباب، الآن حان اســـتقبال الساكن الأول.

فلوباتير

شروق ماهر

إغماءات، ألم أسفل البطن، أتقيأ من خمس إلى سبع مرات يومياً قالت ليلى للطبيب قبل أن يأتى لفحصها بجهاز سونار:

- أين زوجك عزيزتي؟

- لست بمتزوجة. قالتها ليلى بابتسامة ودودة.

امتعض وجهه قليلاً: كيف؟!

- بادرته بنفس النظره المستفهمة كيف ماذا؟!

- أنتِ فى أسبوعك الثامن، سترزقين بطفل عما قريب!

فقدت وعيها لبعض الوقت قبل أن تثور بوجهه:

- ماذا تقول أيها المخبول.. عن أى طفل تتحدث؟!

- يجب أن توجهى هذا السؤال لنفسك سيدتى، والآن اخرجى من هنا ولا تأتِ هنا مرة أخرى!

عادت ليلى إلى منزلها فى حالك من الاستنكار والتخبط غير مدركة حقيقة ما يحدث، كأنه مجرد حلم،

(لا يمكن أن تصبح الأحلام واقعاً !! ومن سيصدق كل هذا الهراء.. و كيف سأخرج من منزلى بعد شهرين من الآن) كل ذلك يدور بعقلها ولا تعلم كيف سينتهى هذا الأمر.

ليلى هى ذلك النوع من الفتيات المعروف عنها المنطقية فى التفكير و الرزانة و الهدوء المبالغ فيه، لا تشوبها شائبة سوى تعصبها غير المبرر لآرائها، وإن فسدت أحياناً، و كثرة تدخينها!

جميلة الوجه، حسنة المظهر، ربما هى الانطوائية، وربما هناك سبب ما آخر.. لا يعرف عنها جيرانها سوى أنها أنثى فقط!

المرة الأولى أطرق باب العرافات بدلاً من التوجه للطبيب، يالسخرية القدر! ليس حقيقيًا ما يقال عن العرافات إنهن بشر مثلنا.. كانت أقبح من أقبح كائن رأته عينى على الإطلاق.. تصدر منها رائحة وكأنها تتغذى على كلاب نافقة، حتى إذا ما فتحت فاها وددت لو ابتعدت عنها أميالاً.

- تكلمى يا جميلة.. ماذا بك؟ قالتها العرافة مع ابتسامة أظهرت اسوداد أسنانها..
- لن أطيل عليك الحديث.. أريد فقط أن أروى لك حلماً يراودني.
- تكلمي.
- أرى أننى أعاشر شيطاناً فى مكان أشبه بأن يكون كنيسة، ولكنه ملئ بالرموز غير المفهومة، ولكن ليس بشيطان عادى، إنه لوسيفر! لوسيفر بذاته!

انتفضت العجوز من مكانها وظهرت علامات الجدية على وجهها:

- أكملى !
- أريد أن أعرف ماذا يعنى..
- وما الضرر فى ذلك؟ مجرد حلم، قالتها وكأنها تخفى شيئاً ما!
- سأرزق بطفل عما قريب.. لست بمتزوجة، ولم يلمسنى رجل قط! هل لهذا علاقة بما أراه؟!

ظهرت علامات الخوف و الامتعـــاض والغضب، ردت نافية بقوة و هى تخفى رأسها..

- لا.. بالطبع لا.

- لِم الغضب إذا؟ قالتها ليلى بعدم فهم.

- غادرى هذا المكان فـــوراً.. غادرى ولا تعودى أبداً. قالتها بقوة دافعة إياها خارجاً.

حســـناً هذا ما كنت أنتظره من الجميـــع، أحدهم طردنى و كأنى عاهرة و الأخـــرى لفظتنى و كأننى لعنة.

توجهت مباشـــرة إلى منزلى غير مدركة تماماً لأى شـــئ مما يحدث حولى، استوقفنى أحد جيرانى مع ابتسامة لم أفهم معناها و هو يظهرلى ورقة ما.. ربما هى فاتورة أحد الخدمات وربما هى لا شـــئ !! فلم ألقِ له بالاً و بادلته تلك الابتســـامة و تجاهلت ما قدمه لي.

باتـــت حياتى لا تطاق.. أدركت أننـــى لم أرى الوجه القبيح للدنيا بعد.. و أن ما هو قادم هو أســـوأ.

مرت الأيام ثقيلة و الليالى ســـوداء كسواد قلبي! ظهر ذلك النتوء أسفل بطنى و الذى أجهل حتى أى روح يحمل و أى كائن ينمو بداخلي.

أتحسس بطنى بخوف ويقشعر بدنى حتى عند التفكير فى الأمر.

فى صباح اليـــوم التالى اتجهت لذلك الطبيب عازمة على مصارحته بكل شئ علّه يساعدني.

كنت أول الحاضرين.. فكنت أول المختارين للدخول.

- أنت مجددا؟

- أرجوك.. فقط استمع لي.

- ماذا لديك؟

قالها بنفاذ صبر!

- سأخبرك بكل شئ ولكن عدنى أن تصدقني.

- حسناً أنا لست متزوجة، أنا فقط أرى أحلاماً غريبة أننى أعاشر شيطاناً، أنا لم أتزوج قط، ولم يمسسنى بشر.

لاحظ الطبيب أنها تعانى اضطراباً ما، و بدا عليه أنه يصدقها، أو أقنعها بذلك!

- حسناً حسناً، ولنفترض أننى أصدقك، هل سيغير ذلك من حقيقة الأمر.. أنك تحملين روحاً بداخلك!

أدركت ما يرمى إليه وأنه محق تماماً!!

- لا يهم، ولكن هل تصدقنى فعلاً؟

- بالطبع.

بدا على وجهها الراحة نوعاً ما!! و أدركت أنه ربما يوجد أمل وسط كل ذلك السواد!!

- فقط انتظرينى هنا.

- نعم بالطبع.

غاب لبعض الوقت ليجرى اتصالاً تليفونياً!!

- يمكنك أن تنصرفى الآن، فقط اتركى لى عنوان منزلك.

- نعم.. نعم بالطبع.

صباح اليوم التالى لم يكن كأى صباح، اســـتيقظت فى قمة النشوة و الأمـــل، وقد كانت تلك المرة الأولى التى يطـــرق بابها زائر.. ولم يكن كأى زائر، بعض الرجال مألوفو الشـــكل مع عربة مألوفة أيضاً أخبرت الجميع أنهم مبعوثى إحـــدى المصحات العقلية رديئة الخدمة..

وقد كان الحدث الأول من نوعه فى هذه المنطقة.

مصطحبين تلك الفتاة بهدوء تام إلى داخل العربة.. راقب الجميع ما يحدث فى صمت.. وعلامات الاندهاش تعلو وجوههم..

ظلت ليلى حبيسة غرفتها، وقد تحولت من سيء لأسوأ..

أصبحـــت لا تتكلم حتى ولو طلب منها ذلك، نظراتها تائهة وكأنها انتقلت إلى بعد آخر.

- لم التدخين الآن؟

قالها الطبيب فى أسى.. .

- ألا ترانى بائسة بما يكفى لتسألنى مثل هذا السؤال؟

أخذت فى شرودها ما يفوق نصف الساعة وهى تشعل السجائر الواحدة تلو الأخرى دون توقف! محدقة فى الفراغ أمامها.. أراد أن يقطع شرودها

ببعض الكلمات فلم تجبه.. فحاول أن يفكر بما يشـــغل وقته حتى تفيق مما هى فيه أو تنفد سجائرها..

بعد مرور ثلاثين دقيقة اكتشـــف أن لديها فى جيب ســـترتها علبة أخرى من الســـجائر، فأدرك أن انتظاره سيطول، أطول مما تخيل! فقرر الانســـحاب و الإكمال فى وقت لاحق!!

ليلة شتوية شديدة البرودة.. ذهبت ليلى فى سبات عميق!

فى مكان مظلم، تكاد البرودة تشـــل أطرافى.. . أستمع لصوت أشبه بأصوات دق أجراس الكنيســـة، يصاحب عواء ذئاب من نوع غريب، ذلك العواء الذى تسمعه عند اقتراب عزرائيل.. يقترب منها شيئاً فشيئاً، لأجثو على ركبتى.. فجأة و يندفع من فمى كتلة من الشعر الأسود.. استمر فى ســـحبه ولكنه غير منتهٍ كابوس فظيع ظل رفيقا لكثير من الليالي!

أتحسس أسفل بطنى كل برهة وقد ازداد تعلقى بذلك الكائن الذى ينمو بداخلى بغض النظر عن ماهيته!

منـــذ أن جاءت تلك الدخيلة إلى العنبر و أنا لا أشـــعر بالراحة على الإطلاق، كل شـــئ ليس على ما يرام، يصدر مـــن غرفتها رائحة غريبة وكأنها تبولها.

قالتها إحدى المرضات، لترد عليها الأخرى ربما تبول فيها بالفعل.

لتتوالى الضحكات!

ربما هى ملعونة

أو أتت خطيئة

كاد الجميع يتهامسون بشأنها ولكن أصواتهم كادت تصم آذانها.

ظهـــرت فجأة أمامهم ترميهـــم بنظرات تائهة، اقشـــعرت على أثرها أبدانهم وكأنها سمعـــت ما يقال!!

- هل تحتاجين شيئاً عزيزتي؟

قالتها إحدى الممرضات بلطف مصطنع.

لم تحرك ليلى ناظرها لترد ببرود:

- لا.

وتحركت مبتعدة لتتهامس الممرضات مرة أخرى:

- أرأيت؟ تبدو مختلة تماماً.

كيف حالك ليلي؟

سألها الطبيب

- بخير.

- حقاً.

- لا.. ليس حقاً.

تمر الأيام رتيبـــة، هنا فقط أدركت أن الموت يمكـــن أن يكون الخيار الأفضـــل، أدركت أيضاً أن الطعام يمكن أن يكون حنظلاً، وأنه ليس كل الطعـــام لذيذا، وأن اليوم يمكن أن يمتـــد مائة عام، وأنه ليس كل الأيام أربع و عشرين ساعة.

ألجمت تلك الكلمـــات الطبيب، و أدرك أن مـــا تعانيه تلك الحالة أكبر من أنه يصـــاغ فى كلمات و أعظم من أنـــه يعالج بكلمات:

– ألست سعيدة؟ سترزقين بطفل عما قريب.

تحسست ليلى الطفل أسفل بطنها، ولأول مرة يراودها ذلك الشعور.. أنها ستصبح أماً عما قريب..

– بلى ولكن.. متي؟

– شهرين فقط.

– يا إلهى.. . ألهذا الحد الأيام سريعة؟.

– أرأيت؟! هنا أيضاً يمكن أن يكون أربعًا و عشرين ساعة أحياناً.

لاحظ الطبيب انفراج أســـاريرها و تغير حالتهـــا تماماً.. فاطمأن لذلك و أنهى الجلســـة.

ولأنك قد تشـــعر أن قوة ما تجتاحهـــا.. قوة نابعة من داخلها.. و أدركت أن ما هو قادم يمكـــن أن يكون أفضل.. ولم لا؟

لاحظ الجميع تغير حالتهـــا.. و مع اقتراب موعدها تزداد قوة كل يوم.. لاحظ الجمبع أيضاً أشـــياء غريبة بدأت فى الحدوث!

ظهور حيوانـــات لم يكن لها وجود من قبل.. كالعقارب الســـامة و العناكب الغريبة الحجم و الشـــكل.. و الثعابين من نوع المافيا شـــديد السمية!

الجميع فى ذلك العنبر أصيب إثر تلك الحيوانات.. عداها بالطبع!

لســـبب ما احتج جميع المرضى و الممرضات على وجود ليلى فى نفس العنبر.. و نقلت لغرفة خاصة والســـبب مجهول و سيظل كذلك لفترة ليست بقصيرة!

الجلسة التالية:

جاءها صوت الممرضة قوياً أيقظها من غفلتها..

ظل الطبيب صامتاً لفترة.. وكأنه لم يجد ما يقال..

- هل جئت بحثاً عن إجابة أم جئت فقط لتجادلني؟

قالتها ليلى.. .

- وهل يشكل ذلك فارقاً؟

- بالطبع.. إن كنت هنا بحثاً عن إجابة سأساعدك للحصول عليها.

وسكتت قليلاً ثم استطردت!

أما إذا كنت هنا لتجادل فيجدر بك الذهاب الآن.. حتى لا يصيبك منى شر عظيم.

استقبل الطبيب كلماتها فى ذهول، وقد لاحظ تغير سلوكها للأسوأ نوعاً ما عدائية أكثر.. بدت مختلة بالفعل!

ثم توجه لسؤالها مباشرة.. هل حقيقى ما يقال؟

أى حقيقة تقصد؟

تعلمين ما أرمى إليه جيداً.

لاحظت ليلى ذلك الفرق الواضح فى أســـلوبه، وحقاً لم يعجبها هذا التغيير!

- نعم حقيقي.

صعق من صراحتها تلك ثم؟

- ماذا يخيفك؟

- لا أفهـــم ما ترمين إليـــه حقاً، ولكن أكثر مـــا يخيفنى الزواحف و خاصة الثعابين.

- فهمت إذاً؟

- وأنتِ

لم يجيب .

لسبب غير معلوم انحنى الطبيب.

ســـحابة من التوتر علت فى سماء المكان، ولم يكن من الصعب عليها تخمين السبب..

مرت الأيام ولم يطرق باب غرفتها أحد سوى لتقديم الطعام..

- هناك خلل ما.. هناك خطأ ما.

قالتها فـــى لحظة من اللاوعى، وقد تركها الجميع وحيدة فريســـة للاكتئاب!

حتى و إن كان ما ينمو بداخلها شيطان، ولكنه بشر!

قبل أيام من ولادتها، اتخذت ليلى من الدماء عادة محببة.

ولكن أين مصدر تلك الدماء.. لا أحد يعلم سوى أنه فى جلسة من الجلسات اكتشـــف الطبيب أن لها ميولًا سادية حيث تقوم بعمل جروح عميقة فى جسدها..

الجلسة التالية:

طبيبة تبدو جديدة هنا!

بدأت معها الحوار بفظاظة ملحوظة:

- هل أنت المجنونة التى يتحدث عنها الجميع؟

و توالت ضحكاتها المستفزة..

شـــعرت ليلى بالإحراج لثوانٍ معدودة ثم ســـألت عن الطبيب السابق لتجيبها بنفس الفظاظة:

- مات!
- وهل تعلمين السبب؟

قالتها كمن يعرف الإجابة مسبقاً.

- وهـــل كل المجانين هنا بنفس هذا الفضول؟ ســـيقتلك فضولك يوماً ما!
- أجيب.

قالتها ليلى بحدة أخافت الطبيبة.

تلعثمت من نظراتها الحادة ثم أجابت بخوف ملحوظ..

قيل إن منزله تعرض لهجوم من الحيوانات الزاحفة

ابتسمت ليلى فى خبث واضح:

- ماذا يخيفك؟

مرت الأيام ولم يتكرر دخول طبيب لتلك المريضة.. ولسبب ما إذا ما انتصف الليل سُمع لتلك الغرفة صوت مريب كأجراس التنبيه المزوجة بالموسيقى الصاخبة.

دارت الشائعات حولها، ومن كان لديه مجرد شك ازداد يقيناً، ولكن إلى الآن لم يتم التوصل لسبب منطقى لكل هذا.. و ظل الجميع فى ريبة من أمرها..

ميلاد طفل جديد فى المشفى هو بمثابة كارثة.. و هو أمر غير اعتيادى على الإطلاق، ويتخذه الكثيرون كنذير شؤم لأن صاحبة الحدث الجلل عادة ما تخضع للعلاج بالكهرباء.. بعدها مباشرة و كأنها تفقد الجزء المتبقى من عقلها مع مولودها، مما يؤدى بالطبع لعزل الطفل عنها تماماً خوفاً من أذيته!

اليوم الأول للطفل فى المشفى لم يكن حافلاً أو سعيداً كما العادة.. فقد احتقن وجه الجميع عند رؤيته مباشرة، عداها بالطبع.

فقد رأت ليلى طفلها وكأنه قطعة من السماء أهداها الرب به كدعوة طال انتظارها.. ولكن للجميع رأيًا آخر فى ذلك..

كاد أن يكون وجهه أقبح من أقبح كائن رأته عيونهم على الإطلاق..

عيناه جاحظتان متباعدتان عن بعضهما البعض، شـــفاهه مشقوقة فى المنتصف.. وكأنه مخلوق طـــرد من الجحيم لينزل على الأرض، بكاؤه أشـــبه أن يكون عواءً، حتى إذا ما فتح فمه باكياً اقشعر بدن الجميع..

سحابة من الكآبة علت سماء المشفى، بل تكاد ترى كل الألوان تتحول فجأة للأسود..

كبر الطفل سريعاً وقد كانت أمه ملتصقة به وكأنه هو من أنجبها وليس العكس..

كلما تجول فى المشفى أثار الفزع فى النفوس..

- ماذا بك أمى؟ تبدين خائفة؟!
- أنا؟ مطلقاً يا عزيزى لماذا أخاف وأنت بجانبي.
- لا أدرى شعرت فقط أنك بحاجة للتحدث لشخص ما، وربما أكون أنا ذلك الشخص.

صدمـــت الأم من طريقة كلامه.. تبـــدو ممتعة جداً وكأنه قضى معظـــم العمر فى اختيار الألفاظ.. مع أنـــه لم يتعدَ الأربعة أعوام بعد!

- لا يا عزيزى، أنا بخير.

نظر لها بجمود بما يفوق الستين ثانية، ثم أكمل طريقه..

***

هو طفل غريب من نوعه، هادئ بطبعه.. لم يكن يعلم كثيراً، بل أنه لم يكن يتكلم من الأساس..

ولم يكن يبتســـم لأحد، ولكن لا أحد يجرؤ ألا يفعل.. وإلا سيقضى ليلته صراخاً و تشـــنجاً وينتهى به المطاف بغرفة الكهرباء..

إذاً فالجميع يبتسم له حتى وإن لم يكن يرد له الابتسامة!

***

أخافت ليلى نظرات فلوباتير لها باســـتمرار وبمنتهى الثبات وكأنه يوجه نحوها سهامًا بعينيه.. فجأة شعرت أنها فى خطر ما.. ربما خطر منه ذاتـــه.. وكانت تفعل ما يأمرها به دون إبـــداء أى اعتراض وكأن الأدوار تبادلت حتى وإن أبت!

إتخذ جميع من فى المشـــفى من ممارســـة الرذيلة فى العلن عادة لا يخجلـــون منها وهذا ما لم يتجرأ أحـــد على فعله من قبل!

وبالطبع ظهور أمراض لم يكن لها وجود من قبل مثل الإيدز..

تعدت نســـبة الرذيلة فى المشفى ثمانين بالمائة بين المرضى و الممرضات وحتى الأطباء!

عانى الجميع من أمراض ليســـت معروفة و تشنجات وكثرة حالات انتحار، كانت الحال من سيء لأسوأ.. وبالطبع لم تسلم ليلى من كل هذا، و أصابها ما أصاب البقية..

تغيرت حالتها منـــذ الولادة و اتخذها الاكتئـــاب رفيقًا مما جعلها تحـــاول الانتحار مرات عدة!

و أصبحت تميل إلى الظلام بشكل ملحوظ..

– ماذا لو كنت الآن فى عداد الأموات، ماذا لو لم يتم إنقاذك؟

قالتها الطبيبة لليلى فى أسى.

– أتعلمين متى يموت المرء؟

– وهل تعلمين؟

– بالطبع يموت المرء عندما يكون غير مستعد، عندما يخاف الموت، و أنا كنت مستعدة بالكامل.

نظرت لها الطبيبة مندهشة من خلقتها السوداوية وأدركت كم هى محقة.

فاستطردت ليلي:

أعلـــم أن الـــرب يراقبنا من بعيد، و أنه لـــو أراد راحتنا لفعل ذلك، ولكن لكل شئ حكمة، وأنا أنتظر أن أرى حكمته فى شئ مما يحدث الآن، أتعلمين أنا متعبة، متعبة جداً و بائســـة، بائسة جداً.. لو أن هناك قاعاً للقاع فأنا أعلم أننى أهوى إليه بسرعة أكبر من حركة كرة على سطح مائل.

كل ما أتذكره فى حياتى هذه هو أننى لم أكن ســـعيدة قط.. ولم أكن راضية قط..

هل يسمعنى الله الآن كما تسمعيننى أنتِ! هل يعلم كم أنا متعبة؟ وكم أنا وحيدة؟

و تنهدت بشدة و استطردت:

أتعلمـــين أيضاً.. لم أعد أجد من الكلمـــات ما يصف أيامى.. . فى وقت كهـــذا كان الانتحار على حق.

صعقـــت الطبيبة لما سمعت للتو.. لم تجد مـــن الكلمات ما تقول، و أدركت أن هناك من هم أكثر بؤسًا منها، فكونها عاقراً أفضل بكثير من أن تكون حبيسة أربع جدران فى مشفى..

وأدركت أن كل منها بائس بطريقته، و أن هناك من البؤس درجات، و من يزدادوا فهم يزدادوا مرتبة.

أنهت الجلســـة بعد أن كتبت لها بعض المهدئات والتى تعلم مسبقاً أنها لن تفيد.

لم تكن الأيام التالية أفضل حالاً مما مضى، ولكنها مرت رتيبة تفقد كل شئ عدا تلك البقعة الباردة التى احتلت الجزء الأكبر من الفراش، فلم تعد تذهب للتبول، إنما اتخذت من فراشها مكاناً لذلك، ولم يكن أحد يهتم!

لم البكاء أمي؟

قالها فلوباتير و هو يوجه نظرات ثابتة نحوها..

شعرت بالفزع قليلاً قبل أن تجيب:

لا أبكى عزيزى.

فلم يحرك ناظره من عليها، فأدركت أنها يجب أن تستطرد وفعلت..

– فقط الهوا بارد جاف أصاب عينى فبكيت.

- ولكـــن أعلم أنك تبكين، ربما لأنك حزينة، بائســـة، لقد سمعتك ذلك اليوم وأنت تتحدثين.

لم تجد بدًّا من المراوغة، و أدركت أنه يعلم كل شئ

- نعم فلوباتير، أنا حزينة.

لم؟

لم أكن أريدك، فأنا أخاف منك وأكرهك كثيراً ولطالما فعلت.

قالت ليلى تلك الكلمات و هى تعلم العواقب جيداً.

- تناولى هذا الشـــراب أمى، أتعلمين أنى وضعت لك فيه بضع قطرات من السم القاتل، سيســـرى فى عروقك كالحمم، ستتألمين كثيراً، ولكن عليـــك أن تعلمى أننى ما أردت ســـوى راحتك الأبدية، هذا العالم لا يســـتوعبك و قررت معاقبته بفقدانك، نعم هذا العالم لا يستجيدك ولا يستجيد براءتك..

سيحولك تدريجياً إلى ذئب فى طور تحول أولى لخطة اكتمال القمر..

أخذت ليلى فى تناول هذا الشـــراب و البكاء يغلبها، ولكن هناك شيئًا ما يحركها.. ليســـت هى من تفعل، هو يجعلها تفعل..

و استطرد فلوباتير:

هيا اشـــربى ببطء عزيزتى، فأنا أريدك أن تتلـــذذى بالعذاب قدر ما شـــئت، لأنها ستكون الأخيرة.

عانت ليلى من أمراض نفسية وقف الأطباء أمامها حائرين.. تتكلم

كثيراً عن شيطان يعاشرها وهى نائمة وتقول إنه يدعى فلوباتير.. وأنه سيقتلهما يوماً ما مثلما فعل من قبل..

كانت تتحدث عن أشـــياء كثيرة، منها تلك العقارب التى تهاجمها و الحيوانات الزاحفة وهؤلاء الأطباء الذين تم قتلهم على يدها بأمر من لوسيفر و ذلك الكائن الذى ينمو بداخلها..

و ظلت روحها حبيسة أحلام لم تتحقق و لن تتحقق قط..

أهلاً عزيزتي

- أخرجنى من هنا، أرجوك، لم يصدقنى أحد و يظنون بى الجنون.
- أعدك ســـأخرجك من هنا، ولكن حالما أنهى ما بدأته عندما تكونين مستعدة لذلك.
- أنا مستعدة الآن.
- مســـتعدة لمواجهة عالم لفظك خارجاً، مســـتعدة لتقابلى نظرات جيرانـــك بعد أن علموا بأمر دخولك مشـــفى للأمـــراض العقلية.
- قلت لك أخرجنى، ولا شأن لك ب.

تكلمت ليلى وقد ارتفع صوتها:

- أنت هنا سنقبلك حين يرفضك العالم أجمع، حين أخرجك إلهك من رحمته، حـــين كرهك الجميع كنت أنا هنا، وضعت بداخلك هدية لن يقدرها أغبياء مثلك.
- من أنت؟

- وهل يهم.

- لن يصدقك أحد على أية حال.

و أنهيت الجلسة..

تركنى تائهة و أنا لم أهتدِ بعد.

فى تلك الليلة سمع الجميع أصواتاً عالية، موسيقى صاخبة black metal صرخات مكتومة يتعالى شيئاً فشيئاً، تجاهلها الجميع فى البداية، ولكن الأصوات تكاد تصم الآذان..

تحرك الجميع باتجاه العنبر فى آن واحد ليجدوا أن العنبر فارغ تماماً..

أين الجميع؟ وأين المرضى؟

ظل الرد على تلك الأسئلة مبهماً ليومنا هذا.. اختفاء عنبر بأكمله كان بمثابة فضيحة، ولذلك تم التعتيم على هذه الكارثة و تم إلغاء العنبر تماماً و حذف من جميع الملفات و كأنه لم يكن قط..

و تم إنكار أى دليل يثبت وجوده..

قيل فيما بعد أنه وجد أشياء غريبة تحدث فى ذلك العنبر.. كالموسيقى الصاخبة التى ستجدها إلى الآن إذا قررت زيارة المشفى..

صوت الصرخات المكتومة التى سمعها الجميع.. وصوت ينادي:

- فلوباتير.

***

ثغرة ابن يعقوب

خالد حمدى

ارتفع نفير تلك السيارة المسرعة فى ذلك الوقت المتأخر من قلب الليل ليشق سكونه بشكل مزعج مستهتر يتنافى تمامًا مع احترام حقوق الأخرين، بينما تعالى صوت موسيقى صاخبة صادرة من كاسيت السيارة الفخمة، عند هذا التقاطع وبصريرٍ مزعجٍ للغاية نتج عن كبح قائد السيارة جماحها، توقفت السيارة بعد ما خلَّفت علامتين متوازيتين بالأرض الإسفلتية امتدت عدة أمتار نتيجة عامل الإزاحة، لتثير عاصفة ترابية خفيفة ما لبثت أن انقشعت سريعًا ليهبط من السيارة شاب مفتول رياضى البنية يبدو أنه فى نهاية عقده الثالث، وتبدو عليه ملامح السكْر والاستهتار.. وبعد تناوب إلقاء عبارات السباب النابية بينه وبين رفقته وسط موجة أخرى من الضحك، تحركت السيارة من جديد لتبتعد فى تشوش ناظريه وغشاوة ضبابية نتيجة تناول المسكرات والمخدرات، أخذت تبتعد مسرعة ليتلاشى معها صوت الموسيقى تدريجيًا حتى اختفت تمامًا، لازال يقف ذلك الشاب رافعا رأسه لأعلى يتنسم هواء الليل البارد تحت شعوره بالارتخاء التام والخفَّة المطلقة..

كان يقف على بداية ذلك التقاطع الذى يمتد من أمامه شارع طويل به يقبع منزله، كان عريضًا إلى حد كبير تتراص على جانبيه بعض الفيلات القديمة التى هجرها سكانها منذ زمن، فخرجت من أسوارها فروع كثيفة متشابكة لأشجار ضخمة من الجانبين تقذف ببعض المهابة فى القلوب، من بعيد لاح ذلك العامود الكهربائى الوحيد الذى ينتهى بكشافٍ مرتعش الإضاءة يلقى بظلال مهيبة على الطريق.. تحرك الشاب فى خطوات تبدو ثقيلة كمحاولة لحفظ توازنه حتى لا يسقط أرضًا، كان يدندن بإحدى الأغانى العربية الشهيرة ويبدو أن

صوته أعجبه للغاية، مما دفعه للوقوف برهة ليطلق لكفيه العنان فأخذ يصفق بهما فى حرارة وهو يقول لنفســـه فى مزاح:

– الله عليكِ يا ست.

ثم أطلق ضحكة عالية تردد صداهـــا من حوله، الغريب فى الأمر أن صوت صدى ضحكته ظل يتردد لثوانٍ طويلة بشـــكلٍ غريب!

اتسعت ابتسامته وهو لازال يتسكع داخل الطريق، فقال لنفسه بنفس النبرة المازحة:

– مـــا هذا؟ تبدو ضحكتـــى مخيفة جدًا وهى تتردد علـــى هذا النحو، مؤكدا أن هناك روحًا شـــريرة تتبع أثره!

ثم أطلق ضحكة أخرى.

وبهذه المرة تردد صدى ضحكته طويلًا طويلا جدا ليكسر حاجز العشر ثوان!

انتبـــه فجأة للأمر، حاول عبثًا فتح عينيـــه، فأغمضهما وردهما عدة مرات وهو يهز رأســـه عساها تستجيب، فجأة سمع صوت صرخة مكتومة حملهـــا الهواء إلى أذنيه! صرخة أنثوية

أوجـــف خيفة إثر ما تناهى إلى سمعه، اشـــرأب بعنقه يحاول جاهدًا اختراق ظلمة الليل وينصت السمع عله يعلم من أين أتى صوت الصرخة، ورغم وقوعه تحت تأثير الكحول، الا أنه كان شبه متيقن أن الصوت أتى من بعيد من الجانب الأيمن، ولما لم يكن هناك ســـوى تلك البناية تحت الإنشـــاء، استنكر أن يكون الصوت صادرًا منها.. بدأ تأثير الكحول يزول

تدريجيا والغشاوة تنقشع، خاصة مع شعوره بالتوتر الذى انتشر بجسده كالنار بالهشـــيم، كان صوت دهس أقدامه لبعض أوراق الشجر الجافة مزعجًا ومخيفًا خاصة مع الهدوء الذى خيم على الأجواء، ومع تســـارع خطواته انتبه لصوت وقع أقدامٍ تتبعه وتســـرع نحوه، انتصب شعر رأسه واجتاحته موجة عاتية من القشـــعريرة المخيفة، فارتفعت لها الدماء إلى رأسه، وتسارعت دقات قلبه بقوة، فالتفت سريعًا فى وجلٍ ينظر خلفه و..

ولم يجد أحدًا مطلقًا وراءه!

عاد بنظره وتنفس الصعداء ثم أخذ يســـتجمع قواه التى ذهبت أدراج الرياح.

أصبح رأسه صافياً تمامًا عقب هذا الموقف، الأمر الذى دفعه لاستكمال طريقه بذهن صاف.. تحرك من جديد تحت سحابة من الصمت المطبق، الأجواء ســـاكنة، الطريق خالٍ تمامًا من البشـــر، نسائم الليل بدت له متوقفة على غير ما استشعره منذ لحظات!

ثمة شعورغريب اكتنفه؟

غريب هذا؟

لم يعد يسمع صوت أى شيء

لم يعد يسمع صوت وقع أقدامه

بل لم يعد يسمع حتى صوت حفيف الأشجار من حوله

ما هذا؟ هل أصيب بالصمم؟

كان هناك طنين قد بدأ يتسرب لأذنيه ما لبثت أن تعالت حدته بشكل كاد معه رأسه يتفجر، وضع كفيه على أذنيه فى محاولة فاشلة لمنع هذا الطنين، ظل يرتفع ويرتفع تحت نظراته الزائغة.. لم يدر ماذا حدث؟ وكيف سقط أرضًا؟

كل ما شعر به أنه كان ممدًا على الطريق وبرأسه صداع يفتك به، فقام من رقدته ينفض ثيابه وقد تخلله شيء من الارتياح عند سماعه صوت طائر الكروان المميز من فوقه، الذى بث بقلبه بعض الطمأنينة، وبينما كان يقترب من تحت تلك البناية لمح وكأن خيالًا يتحرك هناك بالطابق الأول!

شعر بالخوف يزحف بجسده فأسرع الخطى، كان بين شقى الرحى، فإما أن يُكذِّب عينيه ويخفض ناظريه ويستكمل الطريق متحملًا تبعات هذا، أو إنه يحاول فهم ما يدور من حوله!

أخيرًا انتصر فضوله، أو لو شئنا الدقة انتصر خوفه.. عجيب هذا الإنسان!

بيد أنه شعر بالخطر يقترب منه، بدلًا من أن يعود أدراجه ويجنب نفسه ويلات الهول، تراه يخوض بملء إرادته التجربة ويلقى بنفسه فى مهاوى الردى!

كانت ترتدى قميصًا خفيفاً أبيض اللون، تقف بشرفة الطابق الأول تنظر نحوه فى تضرعٍ على ملامحها أقصى سمات الرعب، تشير بيديها نحوه تستنجد به.. باغته ظهور ذلك الكائن المخيف بيده سكين يلتمع نصله، كانت تصرخ فى رعبٍ شديد، ولكن تلك الصرخات لم يَسمع لها

صوتًا، شـــعر بصراخها يخترق جوفه، لكن أذنيه لم يلتقطا شيئا! أى رعب هذا الذى يعيشه؟

كانت ساقاه ترتعشان لا تســـتطيعان حمله حينما رأى ذلك الكيان يطبق ذراعه على عنقها بينما ذراعاها تمتدان للأمام وتتشـــبثان بالهواء والفراغ، وبيده الأخرى يهوى بســـكينه على قلبها، لتتفجّر الدماء وتغرق قميصها الأبيض، دارت الأرض من تحت قدمه، وبدأ الضباب ينتشر بعقله لكن فجأة بدده ارتفاع رنين هاتفه الخلوى، بيدٍ مرتجفة أخرجه ليرى على شاشته رقم المتصل (ماجد كونان) صديقه الحميم، يالفرحته آنذاك.

بســـرعةٍ فتح الاتصال ووضع الهاتف على أذنه وهو يقول فى انفعالٍ جارف:

- ماجد أين أنـــ..

قطعت جملته تلك الصرخة المخيفة التى سمعها من الجانب الأخر فانتفض جســـده، خفض هاتفه ليتأكد من الرقم فوجده رقم صديقه، وضعه مرة أخرى على أذنه وهو يرهف السمع!

كانت هناك صرخات تشـــيب لهولها الولـــدان، وكأن أحدهم يرى الجحيم بعينيه، صرخات مدوية يقع صاحبها تحت تعذيب ربما لم يسمع إنس عنه من قبل!

نظر الشاب بشكل تلقائى نحو الشرفة فوجدها خالية، تلعثم وتحشرج صوته وهو يقول راجيًا:

- ماجد، أين أنت؟ ماذا يحدث عندك؟

سمـــع صوت أنفاس لاهجـــة بينما اختفت الصرخـــات تمامًا، فعاود الســـؤال مرة ثالثة وبلهجة متضرعة:

- ماجد أين أنت؟ أجبنى بالله عليك.

سمع صوت صديقه وهو يقول بوهن:

- ماذا صنعت بنا أيها التعس؟ لقد رأينا الجحيم على الأرض، رأينـــ.. رأيناهم من حولنا، نعم رأيناهم..

ثم بدأ يبكى وهو يستطرد:

- لقد تركناك وابتعدنا وســـلكنا الطريق الســـاحلى، وحينما نظرت لمؤشـــر الوقود وجدته قد أوشـــك على النفـــاد، توقفنا عند إحدى محطات تموين الوقود، ترجلت من السيارة لأننا لم نلمح أحدا هناك، وبينمـــا كنت أصيح مناديًا أحدهم، وبالســـيارة الرفاق يتضاحكون، رأيت منظـــرًا مخيفًا لم أصدقه لوهلة!

رأيت كائنا بشـــعًا على بعد عشـــرة أمتار يجثم فـــوق صدر أحدهم ويلتهم معدته فى منظر مقززٍ، عدت بظهرى فى خوف شـــديد، لكن من هول فجيعتى وخوفى تعثرت وســـقطت أرضًا، لمحنى ذلك الكائن بعد أن انتبه لتعثرى فأطلق زمجرة سحيقة وقفز قفزة هائلة أصبح بها على بعد خطوات منى، زحفت مسرعًا تحت صرخاتى الفزعة ودخلت السيارة وأدرت مقودها بسرعة وانطلقت..

قاطعه الشاب فى خوف عظيم:

- أى عبثٍ هذا الذى تخبرنى به؟

لم يسمع إجابة لسؤاله، ثم كرر سؤاله مرة أخرى فسمع ماجدا يهمس فى رعبٍ شديد يستكمل ما بدأه:

- انطلقتُ بالسيارة تحت صرخاتنا المروعة، فلقد رأى جميعنا هذا الكائن المخيف، أغلقنا الأبواب وأنا أحاول عبثًا الهروب، فجأة اختفى الكائن دون أن نرى أو نعلم أين وكيف اختفى، فعدنا إلى الطريق ولا ندرى أهذه هلوسة سقطنا فيها من أثر الشراب؟ أم هى حقيقة؟

كان الشاب يستمع فى توتر بلغ ذروته ورعب اجتاح كيانه كاملًا، فقال بصوت هامس غلفّه الخوف:

- ثم ماذا حدث أخبرني؟

قال ماجد فى موجة بكاء هستيرية:

- لقد التهم الكائن مرام يا حازم، التهمها ولم يتبق منها شيء سوى بعض الأشلاء، أنت السبب يا حازم، أنت من صنعت بنا كل هذا، لقد تعطلت السيارة بعد نفاد الوقود فهبطنا جميعا منها فى مكان مقفرٍ، ومنذ أن هبطنا ونحن نسمع صرخات أنثوية تستغيث، وعواء كلاب، وهمهمات مخيفة وأصواتٍ جحيمية مرعبة.. لقد وقعنا فى المصيدة، وها هم يقتنصوننا واحدًا تلو الآخر، لقد مات الجميع ولم يتبق سواى.. وقف برهة ثم أردف فى لهجة تائهة أقرب لمن أصابه نوبة هذيان:

- أنت من لعنتنا بهذا الكتاب الملعون، لم تكن لعبة كما توهمنا، بل كانت حقيقة لم نفطن إليها إلا بعد فوات الأوان، لقد فتحت تلك الثغرة بين عالمهم وعالمنا ولن يهنأوا قبل التنكيل بنا جرّاء ما دنسناه

بفعلتنا الحمقاء تلك.. أشـــعر بهم من حولى، إنهم آتون من أجلى إنهـــ..

قاطعة حازم فى بكاء وخوف شديد:

- اصمت يا ماجد لا ترفع صوتك، اصمت أرجوك.

لم يسمعه، أو لم يكن لديه ما يفعله، فاستطرد بلهجة استسلام:

- ولم الصمت وأجلـــى آتٍ آت لا محالة؟ لقد انتهى أمرى، كما انتهى أمر مرام، وياســـر، ونسرين.. لقد مات الجميع بأبشع وسيلة تنكيل، صرخاتهم تتردد بأذنى، وملامح الذعر التى حفرت على قســـماتهم أمام عينى فلم الخوف.

قاطعه مرة أخرى:

- اصمت أرجوك.

- لا لـــن أصمـــت، لقد جاء دورى ولـــن أتركهم يهنـــأون أو يتلذذون بإخافتى.

سمـــع حازم عبر الهاتف صـــوت صديقه يرتفع وهـــو يصيح فى قوة وضحك هستيرى:

- أعلم أنكم هنا ترونني وتســـمعوننى، تنتظرون ذروة خوفى لتطلقوا زبانيتكـــم، ولتطبقوا فكاكـــم على، لن أمنحكم هذا الشـــرف أيها الملاعين، لـــن أسمح لكم بالـــ..

خرقت أذن حازم تلك الصرخة المهيبة التى أطلقها صديقه، ليعقبها صوت قرقعة عظام تتفصَّد، فعلم أنها صرخة الخلاص.

تذكـــر حازم بداية الأمر، حينما طلبـــت منه زوجته أن يتخلص من محتوى مكتبـــة والده والتى كانت توصف بالعريقـــة، ذلك بعد أن آل مآلها إلى مجموعة من الصناديـــق المهملة.. لم يكن من هواة القراءة أو البحث وراء كل شـــيء جديد، لكن هذا لم يثنـــى فضوله لمعرفة فحوى ذلك الكتاب المغلـــف بجلدٍ حيوانى غريب!

كان جلدًا له رائحة نفاذة به بقايا شـــعر أبيض وأســـود يشبه جلد الماعز، ما لفت انتباهه حقًا هـــو التاريخ الذى كُتب على صدر الغلاف، كان تاريخًـــا يعود لحقبة قديمة لعـــام ٤٣٩ هـــ، وقد نقش على الغلاف بالخط الكوفى عنوان «ملاذ الباحثين فى عالم الجن والشياطين» للشيخ العلامـــة الإمام زريق الهاشمى بن يعقوب الخزمـــى، فكان لوقع العنوان أثرعظيم فى نفســـه، أمســـكه بين يديه ثم بدأ يقلب صفحاته فى سرعة كما تقلـــب أوراق الروزنامة، ثم أخذ يتصفحه، الحقيقة أنه قد نســـى الوقـــت تمامًا وهو يتنقل داخل صفحات الكتـــاب، كان الكتاب يتحدث عن عالم الجن وســـكناهم الأرض، فبدأ الكتـــاب بتحديد ماهية أول من ســـكن الأرض من (الجن والبن) كما ذكر ابن كثير، ثم تناول مواضيع شتى تخص عالم الجن والأرواح، ومع كل صفحة تمر أمام ناظريه كان يشعر أنه كتاب شيق فى مضمونه، لذلك مكث على عكف على الكتاب، وخلال أســـبوع كامل أن ينهيه ويفنِّده كلمة كلمة، تعلم الكثير وقرأ الكثير، فأحس بالحماســـة تَدُب فى نفسه بالأخص بعد أن داعبت الأفكار الشيطانية رأسه!

كان الفصل الأخير يتحدث عن عـــالم غيبى - ميتافيزيقى - يربط بين عالمنا وعالم الجن، فهناك ثغـــرة تُفتح بين العالمين عن طريق بعض الطلاســـم التى كتبت بلغة غير معلومة ابن يعقوب ترجمتها بعد بحث فى كتب الســـحر القديمة وقد حذر من اتباع تلك الطقوس، فالعواقب حينئذ ســـتكون وخيمة، وأكمل أن كل مَن دنســـها سوف يدنَّس، ومَن فتحها ســـيُنكَّل به وتطاله لعنة أبدية لن تنفك ولـــن تزول، فإما الموت الأليم، وإما العذاب العظيم!

لم يأخذ حازم الأمر بشـــكل من الجدية أو التصديق واعتبره نوعا من الخرافات رغم حالة الخوف التى انتابته وقت ذاك، فى حينِ أنه أرجع هذا للأجواء المحيطة به، وعلى الفور نقل الأمر لأصدقاء دراســـته وشركائه فـــى حياة الفوضى والعربدة، هم كذلك اســـتخفوا الفكرة بادئ الأمر ولم يصدقوها، ولكنهم أحبوا وســـيلة استجلاب هذا العالم من خلال فتح الثغرة!!

ذكر ابن يعقوب فى كتابه أن هنـــاك عدة طرق لفتح تلك الثغرة على المريد أن يتبعها، طريقة تتحدث عن قراءة آيات قرآنية بشكل مقلوب ومعكوس، وطريقة يســـتخدم فيها الزئبـــق الأحمر، وطريقة تعود لعصر الفراعين قد اتبعها كهنة الفرعون، ولكن من بين تلك الطرق وســـيلة غريبة على إثرها قد أخذوا ينظرون لبعضهم البعض فى جذل، لتدفعهم دفعًا لخوض التجربة ولو من باب الاستخفاف!

كانت هذه الوســـيلة أن يؤتَى بماء أصل الخلـــق من ذكر وأنثى ثم يوضع عليه قطرات دماءٍ إنســـية حيّة، يتم نثرها بعد ذلك على صفحة محددة من الكتاب بها رســـومات عجيبة وكلمات أغرب بخلاف كلمات

قرآنية كانت مكتوبة بشـــكل متناثر، وبالأخير يقرأ الطلسم الذى حدده لتفتح الثغرة!

اجتمعوا ببيت ياســـرالنائى - كالعادة - وبعد حديث حازم عن تلك الوســـيلة بينما كان يغمز بعينيه، تبادلوا النظر فيما بينهم، فلســـعتهم نزعة شبق ســـاعدت الأجواء على تأججها ليتساءلوا فى مجون جريء:

- ترى من سيختارهما المُريد؟

لم يمهلهم حازم وقتًا للتفكيرأوالتساؤل، فسرعان ما أشار إليهم جميعا وهو يضحك فى صخب قائلا بلغة وقحة

- وما الضير أن يكون المطلوب منا جميعا؟

وكأنها كانت إشارة الانطلاق، فهبطت عليهم أجواء مستعرة أذاقتهم لذة ونشوة لم يعهدوها فى أنفسهم.

بعد حالـــة الانصهار التى بدت عليهم تحت أنظـــار حازم.. . انتهت الســـكرة لتبدأ الفكرة، أســـرع حازم بعد أن نهض صديقـــاه وأتياه بالمراد ليلتفـــوا جميعًا فـــى حلقة وهم لازالوا يرتدون ثيابهم وســـط حالة من الضحك العبثى، جلسوا ثم أشـــعلوا لفائفهم المخدرة.. كانت عيناه تلتمعان وهو يقوم بجرح إبهامه فى شـــغف لم يستطع فهمه، خلط الماء بالدماء وفتح كتابه وبدأ يقطر الخليط على الصفحة المعنية.. ثم بدأ يقرأ بصوت عميق:

طهاطيل بنفيث عافث أبالام دهابيل

أبراساس خميص عابث يعبث بهراقا

مطيطرون مطيعرون

أخرج عقيلس من حيث لا يعلمون

بها كأنت نفيث

خنيث عليهم كأمون

صدوق حميم لا رجيم

أباددون حام حانون

مسيطرون مسيطرون

ظل يقرأ ويكرر الطلســـم مرات ومرات حتى ســـاد الوجوم، ما جذب انتباهه بشـــدة هو اختفاء قطرات الخليط داخل الصفحة كما لو أنها امتصتها تمامًا!!

فجـــأة انطلقت مـــرام تضحك بقوة ثم أعقبتها نســـرين ثم انفجر الجميـــع فى حالة من الضحك الهســـتيرى و.. .

كل هذه الأحداث التى بدأت مع صبيحة اليوم، مرت بعقله سريعًا وهو لازال ممسكًا بهاتفه الخلوى وصوت صرخة ماجد تتردد بأذنه فتساءل فى قرارة نفسه:

كيف حدث هذا؟

لقد كنت أمزح،

هل سيصيبنى ما أصابهم؟

إن موعدى سيكون قُبيل الصبح

أليس الصبُح بقريب؟

تحرك مسرعًا ولم ينس أن يطلق بصره نحو الشرفة فوجد الفتاة تقف بردائها الأبيض تصرخ بلا صوت وتستنجد به ومن خلفها ذلك الظل.

وقف أمام المصعد يلهث، وبينما كان يستخرج سلسلة مفاتيحه الخاصة، ارتفع رنين هاتفه الخلوى ليجد اسم ماجد على الشاشة مرة أخرى!

فتح الاتصال وبيد مرتجفة وضع الهاتف على أذنه وهو يهتف باسم صديقه فى خوف، لم يسمع صوت صديقه، وإنما سمع صوتًا آخر يأتى من أعماق الجحيم يقول كلمة واحدة.. .. .. .. عقيلس.. .. .

انتفض متراجعًا خطوتين وألقى بالهاتف أرضًا لتتفكك أجزاؤه تحت نظرات الرعب التى أطلقها، ظل يتطلع إلى هاتفه بشفتين مرتجفتين وأسنان تصطك ثم أدار رأسه وجلًا ينظر للبطارية الملقاة بعيدا، اقترب فى تردد من هاتفه وما إن مال بجذعه يحاول التقاطه، انتفض مجددا وبشكل ارتج معه جسده كاملا حينما أعلن صوت المصعد عن وصوله للطابق الأرضى، التفت إليه خائفًا مترقبًا، وملتصقًا بالحائط المقابل للمصعد الذى قد استقر فى سلام.. خطرت بباله فكرة!

تقدم وأخذ يطرق باب حارسة البناية طرقات قوية، ثم عاد يلتقط هاتفه ووضعه بجيب بنطاله قبل أن يعيد تركيبه، كان يسمع صوت فتح باب غرفة الحارسة، فخرجت وهى تضع طرحتها على رأسها تسأله مندهشة:

- ماذا هناك يا أستاذ حازم، هل حدث شيء؟

ابتسم لها فى ارتياح شديد قائلًا فى انفعال:

- لا.. لا شيء، ولكن باب المصعد لا يريد أن يفتح!

نظرت إلى بـــاب المصعد فى غير فهم، ثم تقدمـــت ومدت يدها تحت دقات قلبه المتسارعة، وبمنتهى اليسر والهدوء فتحت الباب ليضاء المصباح داخله ويمنحه شـــعورا يسيرًا بالأمان، نظرت إليه قائلة فى توتر:

- ها هو أستاذ حازم، هل هناك أمر آخر؟

منحها ابتسامة ارتياح ثانية قائلا فى سرعة:

- لا لا.. لا يوجد أمر آخر.. وكيف أحوال يوسف؟

- يوسف من؟

- ابنك؟

- أنت تقصد إبراهيم.

- نعم نعم إبراهيم.. تبا للذاكرة.. حسنا حسنا استكملى نومك.. ثم ولج المصعد وأغلق الباب دون أن يرى تلك النظرة الخاوية، وذلك الجمود الذى أصاب وجهها!

منـــذ أن ضغط حازم زر الطابق الســـابع وهو يمنى نفســـه بالارتماء داخـــل صدر زوجتـــه وتقبيل وجـــه ابنه الصغير فلعل هـــذا يخفف من وطـــأة تلك الليلة، أو لربما يكتشـــف أنـــه يعيش داخـــل حلم مزعج!

ارتعشت إضاءة المصباح واهتز المصعد هزة خفيفة، أشعره هذا بالخوف فحاول تمتمة بعض الآيات القرآنية، لكن لسانه لم يطاوعه!

فجأة انطفأ المصباح وبدأ يسمع كلمات غريبة بلغة غير مفهومة ارتجف لها قلبه، وما زاد هذا الشعور لديه، إحساسه بتلك اليد التى وُضعت على كتفه، أطلق صرخة فزع ثم عاد يلصق ظهره بالمصعد تكاد أنفاسه تختنق من الهول، عاد الضوء يسطع من جديد، ليرى أبشع كوابيسه تتجسد أمامه داخل المرآة فى مشهد مرعب لأقصى حد!

ما إن عاد الضوء ونظر فى المرآة حتى وجد نفس الفتاة هناك داخلها، كانت تصرخ وتصرخ وهى تذرف دمعاتها فى توسلٍ ورجاء، تمد يديها و تتشبث بالفراغ تستنجد به، بينما نفس الظل يقف وراءها يطبق على عنقها رافعًا سكينًا ضخمة.. كان هناك صوت نشيج ونحيب لطفلٍ يبكى، هناك أيضًا ثمة صوت قطرات مياه تتساقط تصنع صوتًا رنانًا مخيفًا، كل هذا كان أكبر من قوة تحمله، فظل يصرخ ويدق على باب المصعد ليرتفع فجأة صوت رنين هاتفه!

هذه المرة الصدمة كانت أعظم!

فرنين هاتفه كان ينطلق بنغمته المميزة دون بطارية؟

بيد مرتجفة أخرج هاتفه فوجده بالفعل مضاءً وعلى شاشته اسم صديقه، فتح الاتصال وقرّب الهاتف من أذنه وهو يصيح ويكرر فى صراخ:

— ماذا تريدون مني؟

سمع أصوات رياح مختلطة بزمجرات وعويل وصراخ ورطانة، ثم سمع صوتًا مخيفًا واضحًا للغاية يقول:

– لقد عاد عقيلس من أجلك.

ألقى هاتفه أرضًا تحت نظرات عينه المتسعة فى رعب، نظر للشاشة الإلكترونية وجدها بالطابق السابع، فتح باب المصعد بعد أن ترك هاتفه ملقى وتوجه نحو باب منزله، أدار الرتاج ودخل منزله ثم أغلق الباب من ورائه فى سرعة، بأنامل باردة بحث عن مقبس الإضاءة ولكنها.. لم تستجب!

كان يشعر بأن هناك حركة بالمنزل، شعور قاتم استباح جوفه وجعل الأرض تميد من تحت قدميه، أغمض عينيه وكتم أنفاسه ولا يعلم ماذا يصنع، أصاب جفنيه ذلك الوهج ففتح عينيه سريعًا.. لقد عادت المصابيح للعمل و..

كل شيء يبدو على ما يرام!

كل شيء فى موضعه.

كل قطعة أثاث فى مكانها.

ورغم كل هذا، كان يخالجه شعور قوى أن هناك من يراقبه، خلع نعليه دون اكتراث، وضع سلسلة مفاتيحه فى مكانها المخصص ثم تحرك باتجاه غرفة نومه، وبينما كان يمر من أمام مرآة ضخمة تزين الحائط لمح ظلًا يتكور بركنٍ خلفه، دار بجذعه فى فزع فلم يجد شيئًا!

عاد ينظر للمرآة مجددا، فانتفض بقوة وانتصبت جميع منابت شعره!

فقد كان هناك يجثم فوق صدر ماجد صديقه؟!

رأى ذلك الكائن يلتهمه فى مشهد مقزز للغاية، صاحَبه صوت قرقعة عظامه تحت أسنانه، شعر بالدوار يكتنف رأسه، شعر بالغثيان ينتابه حتى أنه أفرغ ما بجوفه كاملا.. بزاوية المرآة الأخرى، كان الظل يقف خلف الفتـــاة، لكن بهذه المرة كانت تقف مستســـلمة تماما، ملامحها جامدة، نظرتها خالية من الحياة وثمة قطرات دماء تتســـاقط من نصل ســـكينه الذى أشهره عاليا.

- ما هذا العذاب؟

- كيف سيتحمل هذا؟

فجـــأة اختفت كل الصور من المرآة، وتحت صوت صرير مخيف، نبتت حروفٍ دموية من العدم، بل من قلب الجحيم استطاع أن يميزها.. (عـــ قـــ ى لـــ س)

كان فى حالة من التشـــويش والارتبـــاك والخوف العظيم، بات على يقين أن الدور عليـــه، تذكر كلمات ابن يعقوب:

مَن دنسها سوف يدنس.

مَن فتحها سينكل به وتطاله لعنة أبدية.

لن تنفك ولن تزول.

سمع صوت ضحكات ليست غريبة على أذنه!

نعم ضحكات آتية من غرفة نومه، ضحكات أنثوية خليعة!

سمع صـــوت زوجته تضحك فى رقاعة، وهنـــاك ثمة صوت ذكورى يبدو أنه يداعبها!

دخل غرفة المطبخ وسحب سكينا حادًا ثم رجع واقترب من غرفة النوم على أطراف أصابعه، وما إن أصبح خلف الباب تمامًا، سمع صوت تأوهاتها التى يعلمها جيدا ويعلم متى يسمعها، سمع شهقات شبقها، سمع أنَّاتها المتقطعة، ورغم أنه كان خلف الباب يقف، لكنه رأى كل شئ:

رأى تغنجها.

رأى تأودها.

(تلك الفاجرة تختلى بخدنها مستغلة غيابى، سأقتلها)

هكذا سولت له نفسه.

دفع الباب فجأة وفتح القابس فرأى تحت غطاء سريره حركة مريبة ولازال صوت زوجته يرتفع، كان فى حالة غريبة من المقت أشعلت داخله نيرانًا من الغضب والقسوة.. تقدم مسرعًا وسحب الغطاء من فوقها بقوة وبحركة واحدة، أطلقت صرخة فزعة وهى تنظر إليه فى ذعر شديد.

نظـــر جانبها فوجد رجلًا عاريًا، وبنظرة تتنافى مع دقة الموقف، كان ذلك الرجل ينظر إليه مبتسما!

لم يعره انتباه وإنما جذب زوجته من شعرها بقسوة، ثم قام بجرها من قميصها الأبيض، أوقفها بغلظة على قدميها وهى لا تزال تصرخ بقوة لا تستطيع الانفلات من تحت قبضته، كانا يقفان بمواجهة مرآة غرفتهما، تقف هى من أمامه بينما كان يضغط هو على عنقها بساعده!

بيده الأخرى رفع سكينه عاليا.

كانت تتوســـل وتتضرع، كانت تستنجد وتمد يديها للأمام تتشبثان بالهـــواء والفراغ، فى الوقت الذى سمع فيه صوت صراخ ابنه المذعور!

فى سرعة وإصرار هوى بسكينه نحو قلب زوجته لتتفجر منه الدماء، ظلت ترتجف تحت ضغط ساعده بينما يتطلع هو إلى انعكاس صورتهما فى المرآة مبتسمًا بشكلٍ عجيب!

فجأة ظهر ذلك الظل وراءهما ثم اختفى، وحينما دار بصره الخاوى نحو الفراش لم يجد شـــيئا ســـوى ابنه الرضيع يرفـــسُ بقدميه ويديه الهواء.. أرخى ســـاعده ليتحررعنق زوجته وتســـقط أرضًا ســـابحة فى دمائها، شعر بالصفاء ينتشر برأسه بعد تبدد وانقشاع سحائب التشويش التى أصابته، تراجع حتى جلس علـــى مقعد بركن الغرفة، وضع ذقنه بين راحتيه وانسابت دمعات الندم من عينيه، ليعلم يقينًا أنها لعنة أبدية لن تنفك، فلم يُنكل به، ولم يُنتقم منه، بل صارت لعنته هى عذاب عظيم ســـيظل ملازما له إلى يوم الدينونة جزاء بما اقترفته يداه.

***

الأطياف العجيبة

مريم سامي

قررت، عندما جاء الشتاء فى تلك القرية الباردة حيث الهدوء الذى لا يتخلله إلا صوت الأمطار وذلك فى عام ١٩٩٥م، الذهاب إلى القاهرة حتى أبحث بها عن الشـــيء الذى ســـيغير تلك الحياة البائسة التى لا تنضح بالأمل ليجعلها زاهية ظناً منى أننى ســـأبدع بها أكثر من تلك الحياة الريفية الرتيبة، و ذهبت إلى القاهرة بالفعل، حجزت بفندق صغير.. .

أعلم أننى ســـوف أصل لتلك الأحلام التى لا تفارق خيالى، وذات يوم رحت أجول فـــى الطرقات أبحث عن مواد صالحة غريبة لتلك الروايات التى أحلم أن تغزو العالم فى الأفلام التى تعرض وأخذت أتمشـــى إلى أن أمطرت الســـماء، لم استطع الرجوع إلى ذلك الفندق الذى توجهت إليه عقب أن وصلت إلى القاهرة العامرة..

نظرت فوجدت منزلا كبيراعلى الاتجاه الآخر وجاهدت كثيراً لأصل إليه.

ها أنا أدق الباب حتى يفتح لى ســـاكنه لأحتمى بذلك المنزل إلى أن تتوقف تلك الأمطار عن الهطول.. أشعر وكأنها دموع تذرف من تلك الأرض الزرقـــاء، وتذكرت الأحلام التى أتت لى لأكتبها فى أبهى حلة . لكننى تركتها إلى أن أخطط لها جيداً، وفى ظل شرودى واستنادى على ذلـــك الباب فتح فجأة ثم ارتطمت بالأرض ففزع الرجل الذى قام بفتح ذلك الباب الفخم، وقال فى ذعر واضح على ملامحه: هل أصابك شيء بنى أخبرني.

قلت: لا أنا بخير لا تقلق.

قال: حمداً لله أنك بخير لكن أخبرنى من أنت؟؟!

وماذا تريد؟! .

قلت: أدعى حســـام وأريد أن أمكث لديك بعض الوقت لتجف ثيابى، إلى أن تكف الأمطارعن الهطول وأمضى لحال ســـبيلي.

صمت هذا الرجل صمتاً كأنه دهـــر وخفت أن يرفض أن أمكث هذا الوقت معه، لكنه فاجأنى حيث تفـــوه بتلك الكلمات التى أراحت لهيب قلبى الذى أشتعل أثناء الصمت وقال: أدعى منير ومرحباً بك فى منزلي، سعدت كثيراً بذلك اللقاء غير المتوقع.. أعذرنى لم أنتبه أنك ما زلت تقف.. تفضل.. تشرفت بك كثيراً فى منزلى المتواضع.

دلفت إلى المنزل الفخم وصعقت لما رأيت أثاثا مطليا بالذهب ونقوشه تدل على أنه متين وغريب، ولاحظ هو انبهارى به فقلت: هذا المنزل يشبه القصور، الأثاث أيضاً يسلب العقل.

منير: أعلم.. جلبته من الخارج لأزين به منزلى.. أعتقد أنك تشعر بالبرد ســـأضع تلك الأخشاب فى المدفأة لنشعر بحرارة ذكريات أيام قد ولت وانتهت من تلك الحياة.. هل تود بعض القهوة ؟

قلت: حسناً أشعر أننى أحتاجها حقاً، شكراً لك.

أتـــى لى بالقهوة.. كانت فى غاية الجمـــال ألذ قهوة تناولتها طيلة حياتى..

منير: أتعلم أن جميع الأصدقاء يشهدون أننى أصنع قهوة ممتازة.

فى الحقيقة اندهشت جداً عندما جلب تلك القهوة لى.

قلـــت: هل أنت معتاد مثلى على شـــرب القهوة فـــى كأس؟! غريب ومختلف يا ســـيدى رغـــم كبر عمرك إلا أنك تشـــبهنى كثيراً.

منير: أنا معتاد على ذلك منذ أن كنت فى عمرك.. يتشابه الناس فى بعض الخصال أحياناً لكن ليس جميعها.

نتبهـــت إلى مكتبة عملاقة كبيرة مليئة بالكتـــب الزاخرة مما يبهج الروح والنفس ويسلب اللب.

قلت: لاحظت وجود مكتبة غنية من مختلف العلوم والفنون.

منير: خذ منها ما شـــئت للقراءة اعتبر المنزل منزلك.. سأخلد أنا للنوم.

لم ينتظر الســـيد منير منى أن أخبره بأى شيئا يدور بخلدى، وضعت كأس القهوة من يدى وشـــرعت فى القراءة إلى أن وجدتنى أنظر لتلك الســـيدة التى وجدتها تمد كلتا يديها للناس لتأخذ صدقة وجدتها لى وتبتسم.

مهلاً أنا أقف فى الطريق وأنظر إلى ذات الســـيدة العجوز التى رأيتها وأنا قـــادم إلى ذلك الفنـــدق وتخيلت قصة.. . لتكن هـــى البطلة بها لأكتبهـــا وتكن أولى رواياتي، لكن كيف وأين منزل الســـيد منير؟!

شردت فى كيفية وصولى إلى هنا قليلاً، ما أخرجنى عن ذلك الشرود هو أننى رأيت تلك القطط الســـوداء اللون التى تجمعت حول الســـيدة ووجدتها تصدر شيئا لامعا فى وجهى.. .

أغمضت عينى لشـــدة الضوء وشعرت بمن يربت على كتفي، انتبهت إنها عائشـــة ابنة عمى والتى كنت أحبها قبل أن يتوفاها الله.. ذعرت منها و ابتعدت عنها..

عائشة: ماذا بك؟!

أجابت: أعلم أنك اشـــتقت لى ثم اتبعت بضحكاتها المســـتفزة.. أنا ســـأعلمك ما الذى حدث.. هل تود أن ترى حقيقة ما تراه بأحلامك وبعد ذلك تقرر ما الذى ســـتفعله؟!

وتفتتت ملامحها وتحللت أمامى ووقـــع هيكلها العظمى أرضاً، ظهر طيف يشبهها..

أكافح حتى لا يغشى علىَّ من هول ما أرى، إنها نفسها لكن جسدها تحلـــل أمامى والتراب يغطى المنطقة التـــى كانت تقف عليها، ما تلك الحشرات والعناكب التى تغزو ذلك المكان الذى كان يقف به جثمانها؟!

أهذا حلم أم خيال؟!

أشـــعر بتنميل فى جســـدي، قلبى تكاد خفقاته تصل لعنان السماء، أشعر كأن الأوكســـجين يسحب من المكان.. أشعر بالدوار يغزو عقلى وسأســـقط.. . وبالفعل سقطت، ارتطمت بتلك الأرض فى منزلى التى بعد ذلك تحولت إلى تـــراب من أين جاء وأين أنا الآن؟!

الآن عدت لأتنفـــس قليلاً، وجاهدت بصعوبة لأقف على قدمى، إذ بى أرى حولى قبورًا تملأ المكان، ظهر لى طيف عائشـــة..

عائشـــة: لم أكن أعلم أنك ترتعب من أقل الأشياء لا تخف وهيا بنا ســـينقلك هؤلاء اللطفاء إلى حيث حدث ما لم تتوقعه.

عندما نظرت لما أشارت إليه عائشة ووجدت العديد من الأطياف تخرج من القبور، تحملنى ولم أظن أبداً أننى ســـأجد نفسى معلقاً فى السماء، وأرى أننى أتشـــاجر مع سمير ذلك الشاب البغيض الذى لا أعلم كيف يكون من أقربائى!!.. .

بعد ذلك وجدته يرحل ووجدتها بجانبى تقول لي: ســـتعرف ما هو أفظـــع، جميع من معك قاموا بإخفاء ما حدث عنك، ولابد أن تعلم ما حدث منذ البداية، اشـــتقت إليك كثيرا، ستأتى لى قريباً و اختفت..

وبعـــد ذك وجدت الدنيا تظلم من حولى لأجدنى معلقاً فى ســـقف غرفة ومعى تلك الأطياف تحاوطنى وهى متمسكة بى وجدت بابا يفتح ووجدت سمير يدخل، يضيء الغرفة ويقول: ســـأريك وسأحرق فؤادك، و أســـلب لك لبك لابد أن تعلم من هو سمير.

وجدتها تقول: راقب ما سيفعله، لا تنسَ أن تخبر الجميع بما حدث.

قلـــت لها والكلمات تنـــازع لتخرج من فمى بمنتهـــى الصعوبة: أنتِ تعلمـــين أننى لم أصدق أن الذى حدث لك مجـــرد حادث، لكن ما باليد حيلة، أنتِ خير من يعلم كم جلســـت فى المشفى بعد أن صدمتى بخبر وفاتك.. .

عائشة: أعلم هذا كله.. فقد كنت هناك وتابعت كل ردود الأفعال، كان الكثير منهم يجاهـــد لإخفاء الحقيقة عنك حتى لا ترتكب ما لم ولن أسامحك عليه إن فعلته.

اختفت ورأيت سمير يذهب إليها، وهى تقوم بشـــراء أشـــياء للمنزل وكان الحوار:

سمير: عائشـــة هل من الممكن أن تأتى لتساعدى معى امرأة عجوز لا تقوى على الحركة الآن لنوصلها للمنزل.

عائشة: بالطبع فلا تنسَ أبداً أن المساعدة هى خير ويجب فعلها إلى أن تنتهى كل الأنفاس بداخل صدرى..

ذهبت معه ورأيت ســـيدة تجلس، وما أن اقتربت عائشة منها حتى أتى سمير من خلفها ووضع المنديل المبلل على أنفها وفمها وبعد ذلك غابت عن الوعى.

وجدته يحملها ويذهب بها إلى (غيط) بعيد، وكل هذا يتم والأطياف تأخذنى إلى حيث يذهب.

وجدتـــه ألقاها أرضاً و يفعل أســـوأ مما تخيلـــت.. لا بل أفظع مما يتخيله عقل بشـــرى يلقى على وجهها صـــودا كاوية حرقت وجهها ثم فعل الأفظع جلب مشرطًا وقطع شراييها ووضعها أمام سيارته فى طريق مهجور وقام سمير بدهس عائشة..

أنا أشـــاهد ولا أعرف ماذا أفعل أيمكـــن أن يكون فعل كل ذلك بها، ولم يخبرنى أحد سأنتقم منه حينما ينتهى كل ذلك.. حينها سمعت صوتها يتردد حولى ورأيت طيفها أمامى وهى تقول: علمت ما سوف تقوله وحمدت الله حينها أنك لم تعرف شـــيئاً، وأن قلبى مطمئن الآن أنك لن تفعل له شيئاً لأنه توفى ولم يعد موجودًا لتنتقم منه.

تركتنـــى الأطياف أرضاً مما تســـبب بفقدانـــى للوعي، أفقت لأجد أن المـــكان تغير بالكامـــل وأقف فى الجامعـــة دون أن يرانى أحد وحينها رأيت جيهان، تلك الفتاة المدللة التى كانت تحاول الاقتراب منى، رأيت المشـــاجرة التى حدثت بينى وبينها، رأيتها تفعل شـــيئاً غريباً إنها تذهب لشاب آخر، تجلس معه..

كان هذا الشـــاب عاشقًا لها وسمعت ذلك الحديث الذى دار بينهما ووجدت أننى دخلت إلى جسده رغماً عنى، فلم أجد سبيلا آخر؛ فأنا نسبة إلى الماضى مجرد روح هائمة..

أريد المعرفة حقاً لماذا يحدث ذلك لي؟! أنا لم أسترح قط من عناء ما رأيته.. . أبشـــع الصور التى يمكن أن يراها إنســـان فى أعز مخلوق لدى وهى عائشة رحمها الله..

وجد ذلك الشاب يقابلها، تقول له: هل أنت تحبني؟!

قال: نعم وأفعل أى شـــيء لأحصل على الرضا منك لا تحرمينى من مساعدتك فى أى شيء؛ لأن هذا يسعدنى ويدق الطبول على باب قلبى فرحاً بك.

وجدتها تقول: ســـتأتى معى إلى قصر البارون الســـاعة الثانية عشرة ليلاً.

شـــاهدت الذعرعلى ملامح وجه الفتى وأطراف أصابعه التى ترتعش جداً وأكملت حديثها قائلة:

- حسناً لا تفعل لكنك ستكون جباناً بلا شك، سأقول للجميع إنك تخاف من دخول ذلك القصر معى ليلاً، وأنت تعلم كيف لن تسلم منهم هل ستدخل معى أم أنك صرصور خائف.

ووجدته خانعاً لها..

وسمعت صوتاً من خلفى لا يتبين مصدره يقول:

- تلك الفتاة عاملتها بقسوة أدت إلى ما هى عليه الآن، أتعلم أن ذلك الحديث مع الفتى بعد فترة مما فعلت أنت ترى الآن ما تسببت فيه أنت.. واختفى ذلك الصوت، أنا ما زلت أراقب ما يحدث والخوف يبادر يحرق قلبى وعقلى، كما يفعل بحال ذلك الفتى الذى لا أعلم ولا هو يعلم ما سيحدث له..

تصنع الشاب الشجاعة وقال: سآتى معك أنا لا أخشى شيئاً سأفعل أى شيء من أجلك.

ودعته على أمل أن تلتقيه فى تمام الثانية عشرة، كما كان الاتفاق معه وأن يرتدى الأسود ليلائم المكان وقالت: ستثبت لى أنك مغوار وسنخوض مغامرة لم أر مثلها، ستجعلنى أملك تلك الحياة.. عدنى أنك لن تتخلى عن الموعد. ورحلت قبل أن يتكلم ورأيته خائفًا، ذهب إلى منزله وأغلق الباب يفكر فيما يفعله، سمعت أفكاره وهو يقول: أنا أعلم أننى ضعيف وأديت أمامها دور الشجاع وانا يكاد الخوف يأكل قلبى.. . لا يمكن أن أتراجع الآن، لكننى أشعر وكأن خوفى مثل خوف الفريسة من الأسد الجامح الذى يطاردها..

أنا أشـــعر أن ذلك الشاب على حق، أنا غير مطمئن ذلك الإحساس الذى يتخللنى أن ذلك الشـــاب سيواجه شرا ما لا أعلم ما هو؟!

ســـأعرف قريباً، ما زلت داخل جسد الشـــاب وهو يقف ينتظر جيهان أمام قصر البارون، ذلك القصر الشـــاهق الذى يعد أثريا ولم أكن أعلم عنه شـــيئاً وطال الانتظار إلى أن جاءت بلباســـها الأسود القصير وكل مساحيق وجهها سوداء..

دخلت هى والشـــاب القصر لم تكن هناك أضـــواء داخل هذا القصر، وهناك نور خافت من جانب غرفة بقلب ذلك الظلام المخيف، كان ضوءًا لكشـــاف وعندما سلطوا الأضواء على أنفسهم دب الرعب فى قلبى وقلب الشاب وارتجف رجفة لم يلاحظها غيرى بالطبع..

ووجدتنى أخرج من جسده وأصبح غير مرئى.. رأيت ظلا أسود يظهر ويضيء كل الغرفة باللون الأحمر من عينه الحمراء، ووجدتهم جميعهم يسجدون نحوه والشاب مذهول، ولا يرى غير أنهم يسجدون للفراغ، وجدت أحدهم يرســـم نجمة خماســـية بالدماء التى تقبع أمامه، وجدت ذلك الشاب يحاول الهرب واثنين يمسكانه كأنه يساق لكن لم يكن هناك بشر بل أطياف سوداء عديدة تمســـكه بشدة و تخور قواه ويحاول الإفلات من شخص مجهول، أخذته الأطياف و اصطحبه اثنان من الحضور إلى تابوت حديدى عليه جمجمة ومرســـوم على بابه أيضا نجمة خماســـية، جلس واحد من الحضور، بدأ يتمتم بلغة غير مفهومة ووجدت الأطياف تحوطه وتتحـــول إلى هياكل عظمية يمزقون ملابســـه و يجرحونه فى أماكن متفرقة من جسده، حمله الحضورالى منتصف النجمة الخماسية ومدت جيهان يدها بسكين منقوش عليه العديد من الطلاسم واقتربت من رقبته

وفصلتها عن جسده، ملأت الكؤوس من دماء ذلك الشاب المسكين، شعرت بالغثيان الشـــديد وســـأفقد الوعى... أغمضت عينى فوجدت الصوت يتكـــرر: لا تخف مما رأيت، لا تخف مما رأيت، افتح عينك الآن..

قمـــت بفتحها بهدوء وفاجأنى ما حدث جداً لا أعلم أن كل ما رأيته حقيقى، كيف هذا أنا أمام تلك السيدة العجوز ومازالت القطط تجلس حولهـــا وكانت قبل ما حدث تبتســـم لى لكنهـــا الآن لا تلتفت لى رغم أننى أقف أمامها مباشرة ووجدت القطط عيونها تصبح حمراء.. وواحدًا من ضمن القطط يقترب منى وينظر لى، واختفى وتدريجياً بدأت أشـــعر بأن أحدهم ينظر لى ويحوطنى.. . ثم أحسســـت بصهد يلفنى ثم وقف الصهد أمامى مباشـــرة، بدأت نبضات قلبى تعلو والخوف يزداد من كل جانـــب، إلى أن بدأت هالة ضوء حمراء تظهر علـــى هيئة طفل صغير أو كائن صغير، ظهر دخان أحمـــر أمامى وتحول الدخان إلى طيف لطفل صغير تبين ملامحه أن لديه سبع سنوات وأشار لى أن أتبعه، وجدت تلك الســـيدة ترحل ومن حولها هى لا تراهم ولا ترانى..

تبعت الفتى إلى أن دخلت تلك الســـيدة فيلاً فخمة لا يمتلكها سوى العظماء والأغنيـــاء وجدتها تدخلها وتبدل ثيابهـــا لتصبح امرأة ثرية ووجـــدت رجلا ثريًا يدخل من باب الفيلا ويقول لها بعد أن شـــربا أفخر المشروبات:

- حان الوقت للاتفاقات على الصفقة التالية، مطلوب خمســـون قلبا وخمسون كبدا، هناك صفقة ثانية ســـنتفق عليها بعد هذه الصفقة.

قالت العجوز: بهذه السرعة ماذا تفعلون بهم؟!

الصفقة السابقة لم يمر عليها وقت كبير إنه أسبوع فقط.

الرجل الثـــري: أنتِ خيرعليم أن تلك الأشـــياء لا تأخذ وقتاً وأنهم يريدون أكثر وأكثر، نحن لم نسألك ماذا تفعلين لتأتى بتلك الصفقة.

قبل أن تجيب السيدة العجوز وجدت كائنًا يتكلم فى أذنها بحديث لم أسمعه.. .ثم نطقت: لم أقصد بالطبع شـــيئاً ثم كم من الوقت لأكون على أتم الاستعداد لتجهيز الصفقة.

الرجل الثري: أسبوعان وتصبح الشحنة جاهزة.

بعد انتهاء حديثهم الذى لم أكمله لأننى وجدت الطفل يشير لى أن أتبعه إلى تلك الغرفة، ذهبـــت فوجدتها مظلمة، انتظرت.. . فوجدتها تأتى وتفتح تلك الحجرة المعتمة وتفتح الضوء وتدخل لأخذ ثلاث جثث لأطفال مفرغى الأعضـــاء.. نظرت للطفل النائم وقالت له ســـتموت قريباً، سآتى بآخرين..

ظهر الكائن فقالت: قل لى من اخترتم، أسرع فالوقت يداهمنا.

شاهدت إشارة من رأسه بالموافقة.

بعد ذلك وجدتها جالســـة على الطريق، ذلـــك الكائن يخبرها فى أذنها عن ذلك الفتى فتقوم بتنويمه مغناطيسياً وتأخذه وتفعل به مثل الآخرين..

لم أشعر بذلك قط إلا عندما وجدت أننى ما زلت بمنزل أستاذ منير، كيف حدث هذا! أكل هذا حلم؟

أنا مازالت ممسكاً بالكأس..

تجولت بجانب المكتبة أفكر، ولا أجد تفسيرا لكل ما رأيته أيمكن لهذا أن يحدث حقاً؟!

خطوت بضع خطـــوات تجاه الممر الذى لم أتأملـــه عندما دلفت من ذلك البـــاب، ولكن ما هذا؟ لماذا أتى الســـيد منير هنا؟!

لماذا يقع على وجهه على الأرض؟!

اقتربت منه هززته ولم يفق، ظننت أنه يعانى من حالة إغماء..

حاولت أن أجعلـــه على ظهره وأتبع الإســـعافات الأولية.. .ثم رأيت بركة من الدماء تحته فوجدت منطقة القلب تســـيل منها دماء ووجدت الســـيدة العجوز تجرى وما أن لحقت بها حتى حدث شئ غريب أظلمت الدنيا من حولى وســـقطت مغشياً علىَّ..

ووجدتنى أفيق وتلك الســـيدة بجانبى ارتعدت وابتعدت.. . وزلزل قلبى من الخوف الذى تملك كيانى.. . التفت حولى شـــاهدت قطعة أرض مهجورة عوضاً عن المنزل..

قلـــت لها، وأنا أتصنع عدم الخوف داخلى رغم أن قلبى يكاد يقفز من بين أضلعي،: ماذا تريدين مني؟؟! أنا أعلم ما تفعلينه وســـأبلغ عنك.

السيدة العجوز: وهل سأقضى تلك العقوبة مرتين؟!

قلت: كيف أنا لا أفهم؟!

السيدة العجوز: سأشرح لك، لكن لا تقاطعنى وأنا أقص عليك ما حدث.

قلت: موافق.

السيدة العجوز: بعد أن رأيتنى ذات مرة أجعل طفلا صغيرا يأتى معى ورأيتنى أقتله أبلغت الشرطة وحينها لم أشعر إلا وأنا أقول لك: يجب أن تعلم أننى سوف أنتقم منك، ستنسى كل ما مر بحياتك و ستكون شخصية غير شخصيتك وستسمى باسم غير اسمك ويدعوك الناس جميعاً به.

السر كله فى كأس القهوة.. . هذا الكأس يمكن أن تستخدمه مرة واحدة فقط، فهو يحقق أمنية للشخص ويختفى ولا يظهر لهذا الشخص مطلقاً.

وأنت من قمت باستخدام الأمنية وأخبرتك حينها بصوت الخوف إن أخذته أنه له أضرار صغيرة، كانت أمنيتك أن تتذكر كل شيء حدث لك وفقاً لتصرفات ظننتها خاطئة وتتذكر كل شيء عنك.

أنا من قتلتك أنت هو منير بهوية غير هويتك.. . سترجع إلى نقطة البداية، ويبدأ كل هذا من جديد و لا تنسى.. .لا تحتك بى يوماً.

وجدتنى فى منزلى، وعندما سألت عن التاريخ كان بتاريخ عام قبل أن يحدث كل هذا، بعد ذلك ظهر الكأس مع عائشة.. . .

لقد عشت الحاضر بكوارثه.. .كأنه بالفعل مر...

أجراس السقوط

ميار البكري

إهداء إلى..

إلى من على حافة الموت و لم يأخذوا القرار..

إلى من راودتهم الحياة عن نفسهم ألف مرة ولكن..

هم أقوياء..

الآن علمت لمن أهدى كلماتى و حياتى.

للأقوياء

ميار البكرى

برمينجهام - ٢٠١١

السبت ١٢ بعد منتصف الليل..

تقف فى شـــرفتها هادئـــة، كهدوء الســـحاب فى ليلـــة ممطرة.. كالصمت الذى يســـبق العاصفة، كالموج بلا رائحة، بلا لون، بلا حياة. تحتسى كوباً من الواقع مع أسراب من الطيور الهاربة من عالمنا الكئيب إلى عالم أكثر حياة و قوة. تنظر إلى المياة المتدفقة من البحر الكامن أمام بيتها.. ترى، ما هو ســـر وجود هذا البحر أمام عينيها الآن؟

هل علـــم الله بحلم انتحارها؟ أم رأى الله مـــا صارعته وما تبقى من روحها الفانية فســـاعدها فى الاختيار و ســـهلة عليهـــا؟ حقاً لا تدرى، تســـاءلت لماذا قررت أم كلثوم مصاحبتها فى آخر لحظات حياتها؟ فهى دائماً تصاحبها فى لحظات تعاستها و غضبها على مدى الحياة.. تحبها عندما تراها تبكـــى، فتربت على أكتافها قائلة:

- صعبان علىَّ اللى قاسيته، فى الحب من طول الهجران، ماعرفش ايه اللى جنيته من بعد ما رضيت بالحرمان.

و يا الله عندما ترى ثغرها يبتسم فتقبّلها الست قائلة:

- تعـــالى تعالى تعالى تعالى، حب العمر كلـــه نخلصه حب الليلة دى، تعالى تعالى تعالى تعالى، شـــوق العمر كله نعيشـــه ماالقلب الليله دى، متخليش أشواقنا لبكره، متخليش فرحتنا لبكره، كإن أول ليلة للحب الليلة دى.

قد كانت هى من تملأ حياتها و تربت على أكتافها كل ليلة لتقاوم أوجـــاع النهار، فلم يكـــن غريباً عليها مصاحبتهـــا و توديعها فى قرارها الأخير..

وقفت متأملة المياه بركودها و ســـوادها، وظلها الخاطف للقلب قبل العين للمهمومين. كيف لبشـــر فى هـــذه الحياة أن يرى هذا البحر ولا يفكر بإنهاء حياته به؟ تصارع و تصارع و تصارع ثم تقف و تسترجع: كم كانت قوية فى قراراتها على مدى حياتها لتطلب بعدها السماح و العفو من الله على هذا القرار البغيض.

تريد أن تعرف اسمها؟ أحقاً تريـــد أن تناديها؟ لماذا تريد أن تناديها؟ أتريد أن تعرف من هى فى آخر لحظات حياتها؟ تريد أن تعرفها و تصارع معها بكل معاناتها وآلامها و بعد أن تداويها.. تذهب و تتركها لخيالها، لذكرياتها، لقهوتها.

قهوتها.. آه مـــن قهوتها! تلك من ذاقت معها مُر حياتها، تلك من باتت معها فـــى لياليها المفعمة بالوحدة والعـــذاب.. تلك من كانت تســـعدها و تشـــقيها.. قهوتها هى من كانت تربت على أكتافها فى صمت و تلهمها الصبر علـــى البقاء. حقاً مازلت تريد أن تعرف اسمها؟

هـــى ماء من جمال الميم و عذبها، ينبوع هى من الأعماق لتشـــعل به حرف اليـــاء، أصالة من طهارة الألف وقوتها بين الســـطور، و روحٌ تكمن فـــى الراء المغلقة.. هى أنا، أنا بكل شـــئ يمتزج داخلى، بكل ضمير مات بصدرى، و بـــكل حبٍّ اعتصر فى وتيني.

فلأنهـــى حياتـــى ولا بأس، لن أكترث، غداً ليـــس بأفضل و الأيام لا تجرى و الســـاعات لا تموت.

تحسست نافذتى، برقة ملمســـها و الأمطار التى هطلت عليها، كأن النافذة كانت تدمـــع من أجلى، تدمع أنها لن ترانـــى بعد اليوم، رأيت ضلوعـــى تهتز من هواءٍ كاد يعصف بى و الـــبرد يكاد يرهقنى ولكن.. أحتـــاج أن أصمد فى قرارى، ســـيكون آخر يناير فى عمرى.

ســـتكون الحياة بالنسبة لى مجرد ذكرى عابرة تمزج مشاعر مختلفة بداخلى عند سماع اسمها و أنا فوق السحاب. اقتربت كثيراً من النافذة حتى انطلق منها إلى بحرٍ أوســـع بحنانه من حياتى.. . اقتربت كثيراً كى أصل للنهاية الحتمية.

كنت أعتاد النهايـــات، فأنا لا أرى غيرها ولا أعلم غيرها فى قاموس حياتى. أشـــتاق البدايـــات و أعلم أنها قادمة ولكنى الآن اشـــتقت بداية النهاية.. بدايـــة البداية فى حياة لا نهاية لها.

لامســـت حائط شـــرفتى كى أودع كل لحظة مرت علينا معًا و أنا أحكى له خطاى و أخطائى، لامسته كثيراً وسمعت صوته و هو يتنهد و يبكى لأعود فى قرارى.. ولكن، الآن لا مجال للتراجع فهذا هو الصواب، هذا هو التحدى، هذه هى الصرخة فى وجه الحياه لأعترض على كل ما حدث لى.. . تلك هى الإرادة، البحر أمامى، ينظر لى، و ينتظر معانقتي.

وله عرش على وجه البحر و هو جالس عليه و يبعث سراياه يلقون بين الناس الشـــر و الفتن وجدتها مكتوبة على ورقة على مكتبى الذى يكمن وراء نافـــذة غرفتى. كنت قد كتبت هذه الكلمات عندما كنت أســـرد

فى أبحاثى عن الجن وملامســـتهم لحياة الإنسان، و بينما وقعت عيناى عليها رأيت ســـحراً منبعثاً من البحر ينادينى، ترى أكان الشيطان يعلم بمدى حاجتى للموت الآن فقرر أن يســـاعدنى؟ أخد القرار معى ليسهل علىَّ مهمتى؟

الآن قد حان ميعاد الانتقال، ظل أســـود منبعث من على حافة البحر يصعد إلى شـــرفتى، هكذا قال لى، أو هكذا ســـولت لى نفسى بأنى سمعت صوته يعانقنى.

قبَّلت أبى، و أخى، ولامست كتبى الحبيبة و أخذت أشم رائحتها التى كانت تمتزج بآلامى دوماً، و اتجهت نحو ســـراب حياتى الجديدة المليئة بالغموض. فتحت النافذة و أدركت قدماى حافة الشـــرفة، اســـتمتعت كثيراً بلمسات الهواء البارد فى اللحظات الأخيرة فى الحياة. لماذا أرانى أتشبث بالنظر إلى غرفتى؟ لماذا أنتِ عالقة يا فتاتى بين السماء و الأرض؟

اقفزى إلى عالم مليء بالحياة، هذه هى الحياة التى كنتِ دوماً تحلمين بهـــا.. هذه هى الحياة التى انتِ متشـــبثة بها، كـــم أضاعتك و كم أوجعتك و كم أجبرتك على فعل أشـــياء لا تريدينها.. فلتذهبى إلى حياة لا جرح فيها ولا أوجاع، اسقطى.. . اسقطى.. . اسقطى واصعدى بســـقوط إلى أعلى ولا ترتابى و أنيرى ظـــلام كونك و حياتك بحياة أخرى بقاع الظلام.

بقاع الظلام تسقط هى حاملة معها كل ما تبقى من جسد مظلم و عراقيل فى الحياة.. تســـقط هاوية، تسقط كالأمطار، نقطة بنقطة.. تـــرى فيها من أحبها و خذلها.. أعطته كل شـــئ بداخلها، كرامتها،

وقتها، كبريائها، روحها، مشاعرها، استثناءاتها.. حتى لم يعد بداخلها شئ تعطيه لأحد من بعده.

أشـــلاء محطمة تناثرت فى هوة السقوط، كم المســـافة طويلة بين الشـــرفة و البحر، لم أكن أحسبها كذلك، كان يخيل إلى أنها ثوانٍ، و آه من ارتطامى بالماء.. كم أحدث بداخلى وجعاً فى كل خلايا أعماقى على كل لحظة عشتها.. هل كان قراراً خاطئا إن أردت إنهاء حياتي؟! ولكن هل كان بيدى شـــئ آخر لأفعله بديلاً عن ذلك؟

كم هو مخيف ظـــلام المياه، كم هو يصف مـــرارة الظلم ووجعه، و ارتطام صدرى بالماء ووجع كل أشـــلائى أحدث صوتـــاً عميقاً بالآه فى داخلي.

أكاد أسمع فى داخلى الآن نســـمات مـــن أنغام لا أتذكرها، و لكنى ســـأحاول أن أتذكرها كى لا أشـــعر بوجع النفثـــات الأخيرة و دفعة الارتطام، بوجع صدرى ومفاصلى و انتهاك قوتى. نغمات تهمس فى أذنى و أنا أسمع صوت ارتطام الماء مـــن فوقى ولا أكاد أراه، فأنا أغرق ببطء إلى عتمة و تجذبنى الأعماق أكثر فأكثر، و سطح البحر يبتعد، و القاع يقترب، ولا أكاد أشعر بيدى الآن، فهى سابحة حولى و ليس عندى القدرة على التحكم بها، فهى الآن تحاول أن تمسك بحبل ربها لتشعر بالأمان.

الأمان، آه من الأمان الـــذى كانت دوماً تحلم به و لكنها لم تدركه، فهى الآن تريد أن تدركه و تلمسه بيديها لتحقق آخر أمنية كانت تحلم بها.

لابد و أن هناك أشـــياء كنت ســـأدركها لو أنى حاولت التغيير، ثمة شئ كان لابد على فعله ولكن.. هل لى الآن من عودة؟! لا لن أعود فقد انتهكتنى الحياة، ولكن.. عودى، عودى فربما تكون هناك محاولة أخرى، ربما يكون هناك سبيل آخر لحرية الروح.

أصارع لأصعد إلى الأعلى ثانية، و لكن القدر يمنعنى، و كأنه يرى لى أن الموت هو الأصلح لحياة مقودة مثل حياتى. لماذا أنا متشـــبثة بالحياة؟ لماذا وهى التى فعلت بى كل ذلك؟! لماذا؟! لماذا؟!

أكاد أرى ابتســـامة تختلس الفرصـــة لتقبل فمى.. . ترى أهذه هى الابتســـامة التى كنت دوماً أسخر بها من العالم ومن كل شئ حولى؟!

من أمى، أمى التى دوماً أرهقتنى، التى دوماً كانت تخيفنى و تفرض علىَّ كل شـــئ بغيض لا أريده بحياتى التى كانت دوماً تؤدى بى إلى نار الليـــل و عذاب قرار الانتحار.. كل اشـــتعال لضوء الظلام.. أمى من حملتنى فوق طاقتى مدى حياتى و جعلت منى بشـــراً يشـــتهى أن يرى نفســـه فى المرآة بعد أن صار ينظر إلى نفسه فى مرآة غرفته فلا يرى إلا عبوساً كبيرًا.

أم من أحببت و خذلنى أمام صرحٍ من الثقة و الحب والأمان والتضحية اللامنتهيـــة. لن أتذكره الآن فقد أوتيت من ســـقمى ما يكفينى لأغادر حياتكم و أنا أحمل من خيبة أملى ما يكفينى.

كفاكِ ذكرى، كفـــاكِ حزنا، أمازلتِ حية و عندك من الذاكرة ما يبقيكِ على هذه الحياه؟! كيف تحافظين على بضعٍ من أشلائك و أنت فقدتِ منها ما يكفيكِ لتكونى الآن بين يدى الرحمن؟!

أأنـــت قوية إلى هذا الحد؟! الحد الذى يجعلك متماســـكة حتى فى أقسى أوقاتك؟ أأنت إلى هذا الحد متشبثة بالحياة؟ إذن إتركى نفسك لترتفعى إلى الأعلى، ولا تنظرى إلى الأسفل فتسقطى ثانية إلى الأعماق و هذه المرة ســـتختفى وتنهار معك أشلاؤك القوية و روحك النقية.

مـــن هذا الذى يعلم بمجيئك إلى الأعمـــاق؟ من الذى يعلم بقرارك الآن غير الله و الشـــيطان و أنت و.. قرينك الذى يبث القوة بداخلك الآن. نعم إنه قرينك، هو يداعبك و هو يبتسم فخراً بقوتك. قرينك الخفى الذى كان يقبلك سهواً وأنت تغفلين و كان يحيطك بذراعيه و أنت تأكلين، وأنت تبكين، وأنت تقبلين صورة جدك الذى ســـبقك إلى الله. كم تشـــتاقين له الآن، كم تحلمين أن يصحـــو من غفوته بضعاً من الســـاعات ليحتضنك بقوة و احتواء. اشتقت إليك جدى، اشتقت لحضنك و حبك المنزه من كل شـــئ عدا الحنان.

ماذا يقول لكِ قرينك الآن؟ هل هو يقبلك قبل الموت؟ أم هو يريدك أن تبقى فى الحياة؟ و لِمَاذا لم يساعدك قبل اتخاذ القرار؟! أهو يعلم بقوتك و عنادك و ثباتك على قراراتك مدى الحياة، فحبس أنفاسه و قاوم إيقافك و تركك تذهبين و هو يعلم أنك ســـتعودين سالمة فى حضن وسادتك الصغيرة؟ كم من أمانى كنت تريدين تحقيقها و لكن توقفتِ عندما خُذلتِ؟

تطفو رويداً رويدًا إلى ســـطح المياه، طريقها مـــا زال طويلاً. ترى فى طريقهـــا الأسمـــاك و القروش و أســـراباً من الوحـــوش. بحق عينيك الخضراوين أهذه هى الحياة التى ظننتِ أنها لا تحوى ظلماً ولا أوجاعًا؟! هـــا انتِ ترين أن من عدالة الأرض أن جعلت الظلم فى أرضها و بحارها، أوجدت الظلم بكل مكان بها عدا الســـماء.

ها هو سطح الماء يقترب من جديد، ما أبعد الحياة عنك عندما يكون المـــوت نصب عين أحلامك، تكون لحظتها بحاجة لأن يربت أحدهم على كتفيك ليعيد إلى قلبك الحياه مرة أخرى.

ها هى فقاعات الحياة تعود مرة أخرى، هل ظننتِ أن الله ســـيتركك لسرابك وأوهامك يا جميلتى؟ هل ظننتِ أن الله قد ينسى عبداً أحبهُ؟ هـــل ظننتِ أن الله قد يوكلك إلى نفســـك لتودى بهـــا إلى الجحيم؟ هل كان بخاطرك أنه بحنانـــه و عطفه قد يدير ظهره عنك؟ كلا يا عزيزتـــى، إن الله لا يترك عبداً أحبـــه و دعاه و ترقبه من حوله كل ليله ليشكو همه و حزنه إليه.

هيا اتركى يد الله ترفعك إلى الحياة، إلى سطح الماء، إلى بداية الخلود المؤقت و التجربة الجديدة. كلنا يا جميلتى نحتاج لهبوط يجعلنا نفكر فى وجوده و حبه لنا.

***

الأحد - ١١ صباحا..

رجل على حافة سريرٍ يبكى، ينظرإلى الفراغ و يده تلامس شعرها و هو يهمس فى صوتٍ خافت فى أذنها:

- ها أنتِ عُدتِ حبيبتى، ترى لو كنتِ فارقتِ الحياة، ماذا كان سيحدث لى؟ كم كنتِ صامتة ولا أعلم عنكِ شيئاً.. كم كنت أشعر أنكِ تعيشـــين معنا ولكنك.. فى عالم آخر ملىء بالصمود و الركود.. كنـــتُ دوماً أقول لكِ يا ابنتى، أنـــتِ على حافة الخطر، و لم أكن

أعلم عنكِ شيئاً ولكن ثمة شيء فى الروح يقول لى إن وحيدتى و قرة عينى لا تشعر بالحياة، فتاتى مستيقظة ولكنها لا تفيق.

أحبك يا صغيرتى، أحبك كثيراً و أحب الحياة وأنتِ بها. أتذكرين حبيبتى عندما أنهكتكِ الحياة ولازمتِ الفراش أسبوعين و كنتِ تصارعين الحياة و كنت أنا جالس بجانبك أطلب من الله أن يعيدك إلى حياتى سالمة.. يومها رأيتك و أنتِ تقاومين، تحاولين، تصارعين للبقاء.. علمت يومها أن ابنتى قوية، صلبة، علمت أن من صلبى ناراً تحرق من يؤذيها و يشتعل بركان غضبها عندما تشعر أن أحداً يريد أن يرغمها على شيء ما.

حينها اطمأن قلبى و شعرت أنى تارك قطعة من صلابتى، وقوتى و حلمى. دقائق تمرعلىَّ وكأنها أعوام، هل لى بعينيكِ تخرج عن صمتها و تحادثنى ولو لمرة واحده أخرى، أرجوكى؟

أهذا أبى الذى يحبنى؟ أهو يحبنى بهذا القدر؟ لماذا لم يخبرنى يوماً بأنه يحبنى؟ أكاد أشعر بقطرة من عينيه على وجهى، أكاد أستشعر أنفاسه حولى، دوماً ما كانوا يقولون لى إنى أشبه أبى.. . فى قوة أبى، و صرامة أبى، و حدّة أبى، و حنان قلب أبى.. . إنى أفيق يا أبى، أفيق يا حبيبى وسأكون بجانبك، و سأبدأ من جديد.. أراد الله أن يمنحنى فرصة أخرى للحياة.. اشتقت إليك أبى و اشتقت إلى نصائحك و قُبَلك لى صباحاً مع كوب القهوة الدافىء الذى تمنحنى به إشراقاً طول نهارى مهما حدث لى عائدة أنا إلى تلك الحياة، إلى قرينى الحبيب، الذى دوماً هو بجانبى.

أكاد أستشـــعر نبضاً فى قلبى الصغير، أكاد أسمع وأرى بضعاً من أنفاســـى تداعبنى و توقظنى كطفلٍ لأمه يشتاق.

وها أنا أفتح عينى على أحضان أبى الذى لم أره يبكى قط منذ أشرقت علىَّ شمس حياتى، لقد أبكيت أبى، كم أنا ظالمة.. لأبدأ حياة جديدة، و أفكاراً جديدة، و لأغير من أشخاص حياتى، لن أعود لما كنت، و لأعانق السحاب.

ثمة أشـــياء صغيرة تعيد إلينا نبض الحياة مرة أخرى، و ثمة أشـــياء كبيرة تجعلنا نكره نبـــض قلوبنا لأنها فيها..

***

فـــى ليلة حب حلوة، بألف ليلـــة و ليلة، بكل العمر، هو العمر إيه غير ليلة زى الليلة الليلة، زى الليلة.

تذكرتهـــا، هذه هى الألحان التى كانـــت تداعبنى عند موتى، و أنا غارقة فى ظلمات البحر أبحث عن طوق النجاة، كانت الست تعلم بحبى لها فأهدتنى ألحانها العذبة لتقول لى عودى فما زال لدينا ليلة حب حلوة، بألف ليلة وليلة، ســـتأتى هذه الليلة عندما تعودين إلى روحك الطاهرة، النقية، و ستفرحين.. أرادت أن تعطينى أملاً فى الحياة و أملاً فى الصعود.

كلنا كلنا فى الحب سوا.. أحبك سيدتى.

***

روح

شيماء البكري

على حافة السرير تعتمد القرفصاء وكأنها جرادة تحتل قمة جبل من هموم.. .وجهها الشاحب يخبر عن ضياع الجمال فى مطحنة حياتها.. لا تتحرك.. ثابتة تنظر لشىء تراه هى فقط.. أما المرضات فقد ضقن ذرعا أن يجعلنها تتمدد.. أوردة قدمها نفرت بشدة من قوة الضغط عليها فى هذه الجلسة العجيبة.. عينها بها من الشر وكأن إبليس ذاته نقل عرشه لها.. وفمها يلوك أجزاء من شفاهها الداخلية مما يؤدى لسيلان الدم على حواف فمها المتقرح..

يدخل الطبيب يحاول جاهدا أن يجعلها تتحدث.. فتدير له رأسها وتنظر فى عينه فيتراجع للوراء هلعا ويخرج آمرا حارس الغرفة أن يتوخى الحذر.. متى سينتهى من هذه المريضة لينفذ فيها حكم الإعدام ويرتاح..

صديقه الذى هو زوجها.. وعده بمكافأة كبيرة إن جاء هذا اليوم وتخلص من حسناء.. التفاصيل لا تهم أبدا.. المبلغ مغرٍ وفى النهاية هى مجرد قاتلة وتستحق.. . يرجع لمكتبه يقلب ملفها.. أربع سنوات على هذه الحال والقضاء لا يستطيع البت فى الحكم لأنها مريضة نفسيا..

حسناء عامر المهدى.. .السن خمسة وثلاثون عاما.. الحالة فصام بارانوى واكتئاب سوداوى.. .

مسجلة خطر لجريمة قتل منعت منعا باتا من الزيارات..

ثلاث سنوات والحالة تنتكس أكثر وأكثر.. .شيء ما غامض فى هذه الحالة.. بعد جلسات الكهرباء تنتابها ضحكات ساخرة وتردد اسما واحدا.. روح.. . ثم تخرج صورة أشعة لجنين وتقبلها وتنام مايقارب اليوم كاملا.. . .

كاد الطبيب أن يغلق الملف وهو مستفز من عجزه عن فك شفرة هذه المريضة، لكن يده خبطت فى فنجان قهوته لتنسكبت على الملف.. وهو مفتوح على معلوماتها التعريفية رفع بسرعة الملف من على سطح المكتب وبعض الأوراق الهامة وراح ينفضها من القطرات البنية.. . نادى فى غضب العامل ليصلح الفوضى ويقوم بتنظيف المكان.. ثم عاد الطبيب ليجلس على المكتب مرة أخرى.. وفتح الملف ليصعق.. كل المعلومات ممسوحة.. كيف؟! يستحيل أن تكون القهوة فعلتها.. أمر بفنجان آخر وسكبه عمدا على أحد الأوراق غير العامة لكن لم يمسح الحبر منه! كاد الطبيب أن يجن.. لولا أنه تذكر أن جهاز الحاسوب يحمل ملفًا لها.. هدأ هذا من روعه وأمر بإعادة طبعه.. لكن تبقت فزعة الغموض.. .دقت ساعة نهاية عمله لهذا اليوم أخذ الملف الفارغ إلا من أثر بنى على ورقة لمنزله.. دخل المنزل.. فوجد زوجته تبكى.. ويدها مدهونة بمرهم..

- ماذا بك حبيبتى ؟

أجابته:

- كنت انتظرك يا روحى وذهبت لصنع فنجان من القهوة حتى لا أغفو لتجدنى حين تعود للمنزل متيقظة لك.. لكن لا أعلم حقا كيف استدارت (الكنكة)بهذا الشكل من على (السبرتايه) وانسكبت على يدى.. . ثم ظهرت انتفاخات غريبة وكأنها حروف مخطوطة.. . انظر.. أخذ الطبيب يدها.. . ليجد اسما يعرفه جيدا.. .حسناء.. .ردد الطبيب من صدمته الاسم وهو ينظر ليد زوجته التى سحبتها منه وصرخت منزعجة والغيرة أنستها ألم الحرق.. من هذه؟أهى

حبيبـــة ســـابقة تتخيل اسمها على يـــدى!! ضم الطبيـــب الزوجة وأجلســـها.. ثم قال وهو يمد يده الأخرى بالملف.

- هذه صاحبة هذا الملف يا حبيبتى.. .

نظرت الزوجـــة فى بلاهة !! وفتحت الملف لتجـــده فارغا إلا من أثر انسكاب القهوة.. وقبل أن تبدأ فى الثرثرة والسؤال أغلق فمها بيده وقال:

أرجوكِ يا حبيبتى لا أحتمل أى شك الآن.. أنا أمام لغز محير..

اتسعت حدقة الزوجة لتخبر عن شيء هام.. لقد تذكرت الظرف المريب الذى وصل للبيت لزوجها اليوم وهو فى عمله.. ذهبت وأحضرته وقالت:

- هذا لك..

كان الظرف ملطخا بشـــيء أحمر قانى مقزز.. ومحكم الإغلاق.. أخذه الطبيب ودلف لغرفته مغلقا الباب خلفه غير مكترث لحديث زوجته التى أغلق فى وجهها الباب.. حاول فتحه لكنه كان يابسا جدا مما أدى لأن يحضر مقصا ويقص أحد حواف الظرف.. لينفجر مكان القص دما ويسمع أنينا للظرف وكأنه كائن حي!!

انتفض الطبيب وألقى من يده الظرف على الســـرير.. لكن محتوى الظرف كان بالفعل خرج منه.. .قلب.. .مبطط الكتلة وكأنه مدهوس بعربـــة.. مازال ينبض.. ويتلوى.. فتح الطبيـــب الباب وهرب من هول الرعب لكنه انزلق لتصدم رأســـه بأحد الأرفف ويسقط والدم ينساب من رأسه.. هرولت الزوجة لتولول وتحاول أن تنقذ زوجها.. ثم قامت ودخلت

الغرفة لـــترى ماذا جعل زوجها يرتعب هكذا!!.. لتجد القلب بمشـــهده السابق وصفه.. .صرخت وأغمى عليها..

***

فى اليوم الثانى لم يحضر الطبيب للعمل.. .أما عن حســـناء فكانت عجيبة جدا.. تبتســـم.. وتتناول طعامهـــا.. وتلاعب خيالا.. تضاحكه وتنادى عليه بالاسم المعتاد.. روح..

والممرضات ينادين بعضهن البعض غير مصدقات..

يتهامســـن من اســـتغرابهن.. فوجه حســـناء كان حقا تظهر عليه النضارة..وفرحتها تبث الســـعادة حولها..

حتى كشفت عن صدرها وألصقت الوسادة به وهى تمسد على طرفها وتقول:

- ارضعى ياطفلتـــى.. ارضعى من أمك وســـامحينى لقد تركتك جائعة وقتا طويلا منـــذ أن قتلتك وأنا لم أطعمك...الى أن نامت وهى جالســـة متخذة وضع الرضاعة محتضنة الوســـادة بكل حرص حتى لا تسقط منها.. .

تقدمت أحد الممرضات لتغطى ثديها المكشوف وتسحب المخدة من بين ذراعها بهدوء..

لأول مرة تنام حسناء هكذا دون نوبات...

***

اليوم الثانى أيضا لم يحضر الطبيب.. .فكان لابد أن يستلم مكانه آخر.. .حتى تظهر أخبار عنه..

وحسناء تتحسن أكثر.. حتى صارت تستحم وتمشط شعرها .

دار الطبيب الجديد دورة استكشافه بعد أن أخذ نبذة عن كل مريض.. وحين مر على غرفة حسناء.. طلبت منه أن يقترب منها.. ثم همست فى أذنه:

- ألم يحن وقت الخلاص بعد؟

تعجب الطبيب ولكنه قال فى محاولة حوار له معها:

- وكيف الخلاص ؟

أجابته:

- أن اعاقب على جريمتى.. وينفذ الحكم فىَّ..

ابتسم الطبيب مربتا على كتفها بقليل من الخوف والحيرة.. ثم استدعى أحد الممرضات وطلب منها جهاز التسجيل.. وعاد لحسناء.. وأكمل حديثه معها.. بطريقة المحقق

وهل تعلمين جريمتك يا حسناء؟

اعتدلت حسناء فى جلستها وقالت:

- وهل أبدو لك مجنونة حتى لا أعلم؟

وازاحت بحركة غرور شعرها الجميل للخلف..

كتم الطبيب ضحكته.. واستدرك:

- وماهى ياعزيزتى ؟

قامت حسناء من مكانها وفتحت أزارير قميصها الأبيض.. وقالت:

- تعال أيها الطبيب انظر..

توجس الطبيب.. لكنـــه يعلم أنه يخاطب عقلية لا تدرك ماتفعله.. اقترب ونظر بالفعل.. ليجد صورة الأشعة التلفزيونية للجنين ملتصقة فى أسفل نحر حسناء..

سألها:

- ماهذا ؟

أجابت:

- إنهـــا روح.. .ابنتى.. لقد قتلتها.. . .لكنى ســـأهب روحا جســـدا قويا.. جســـدى.. أترى كيف أســـتطيع القفز والتحرك.

وصارت تفعل الحركات البهلاونية أمامه..

صفق لها الطبيب مصطنعا التشجيع:

- بالفعل ياحســـناء جسد مرن.. لكن أخبرينى لماذا قتلتها.. (وتأكد الطبيب وقتها أن المسجل يعمل)

نظرت له حسناء ثم ابتسمت ومدت يدها فى سرعة لتخطف التسجيل من يده وتقربه من فمها.. .

وتقول: لقد كانت تذكرنى كل وقت بأبيها..

جمعت تلك الطفلة كلتا متضاد مشاعرى.. أكرهها حد القتل.. وأحبها حد الجنون.. فـــى كل ثانية كنت أسمع صوتا يخبرنى انه ما من وسيلة لخلاصى إلا قتلها..

هل ترى شعرى.. يوم حملت بروح.. دميت فروة رأسى.. . لقد سحبنى زوجى لمخدعه مثلما تساق الشاة للذبح.. .وبعد افتراسى ظل مثل حيوان قذر فرح بتعذيب ضحيته...يوم ولادتها.. .لا أذكره.. كل ماأذكره أن ومضات من مشـــهد صراخى ودماء تســـيل وأصوات.. و..و.. ثم بدأت حسناء تنهج بشـــدة وهى تحاول تذكر الأحداث.. طلب الطبيب حقنة مهدأة.. وأخبرها أن تستريح.. لكن حسناء تعلقت فى ذراعه وتوسلت له أن تكمل.. كانت عين حسناء لا تقف عن الدمع أمطارا..

وشـــفاهها زرقاء ترتجف وهى تكمل كلامها بشكل هستيرى متقطع الجمل.. تسحب نفســـها من صدرها فيصدر حشرجة وتقول : لم أكن أحبه ابـــدا.. رائحته.. صوته.. غروره.. وعلاقاته.. وشـــذوذه ضعفى الذى أجبرنى ان اظل ســـنين تحـــت طوعه..الله وحـــده يعلم كم من الأهوال عشت.. ساعدنى أرجوك كى أتذكر أكثر.. .أخبرنى عن من أنا كاملة..

ثـــم انقضت علىَّ الطبيـــب بعصبية وهى تصرخ: أريـــد التفاصيل.. أريـــد معرفة أحداث ذلك الجزء المظلم فـــى دماغى لقد كنت لا أنوى قتلها صدقنى... احتواها الطبيب وأوصلها لســـريرها ثانية وهو يمسد شـــعرها.. بدت كأنها ستهدأ لكن ضحكت فجأة وصار زبد أبيض يخرج

من فمها ويفور.. نادى الطبيب فى سـرعة على أشـد معاونيه.. .كان لابد من جلسة كهرباء فى هذه الحالة.. رجعت بعدها حسناء لغرفتها كعادتها كئيبة مريبة

والجديد أنها صارت تخط طلاسـم عجيبة كل ليلة على الجدار بأى شيء يقع فى يدها وإن لم تجد تجرح نفسها وتخط بدمها.

***

فى صباح اليوم التالى.. حالة حزن تخيم على المشـفى.. فقد عرف الجميع أن الطبيب الأول قد لقى مصرعه هو وزوجته فى ظروف غامضة.. كتبت بعض الصحف عن شـيء يوجه الاتهام لبعض عصابات سـرقة الأعضاء الهمجيـة.. وخاصة أنهم وجدوا قلبيهمـا (الطبيب وزوجته) منزوعين من صدريهما.. .

لم يقطع حالـة الحزن هذه إلا صرخات حسـناء وهى فوق الدولاب بغرفتها.. ركض الطبيـب لغرفتها ليراها..

كانت تخاطب شيئا فى السقف فى زاوية الغرفة !!

تلعن تارة وتتوسـل أخرى.. تظهر بعض الجمل فى حديثها مثل: لا يكفينى انتقامك من صديقه.. أريد رأسـه هـو.. لقد أخبرتنى أنك تعشـقنى.. أخبرتنى أنك رهن إشـارة طلباتى.. أقنعتنى أن قتلها هو الشـيء الوحيد الذى سيجعلها ترحم من شر والدها ومن شرى وستظل طاهرة.. ليس عدلا أن أحاكم وحدى وبادئ الظلم يظل يستمتع فى حياته

لا لا.. لن أكـــون ملكا لك إلا وذلك الحقير زوجى قد لقى عقابه كما وعدتنى.. . .أتت زمجرة من زاوية الغرفة قوية جدا جعلت الممرضات وحراسة الغرفة يفرون..

انفعلت حســـناء أكثر لترفس بقدميها على ســـطح الدولاب الذى هوى مكســـورا واخترقت أحد خشـــباته منتصف صدرهـــا على الفور.. وبعد الهدوء.. تجرأ الطبيب ودخل.. أمســـك ذراعها الخارج من حطام الـــدولاب.. ليجد النبـــض صمت تماما.. أتى الممـــرض بحمالة لحمل الجثة..

لا شـــيء يتوقف على موت أحد.. تم إخراج تصريح الدفن قبلها بعد حضور أحد من الجنايات لمعاينة الحادثة..

دخلت العاملات ينظفن الغرفة ويجهزنها فى استقبال

المريـــض القادم او المريضة.. .ليجدوا دفترا مدسوســـا بين الســـرير والمرتبـــة.. فى صفحته الأولى صورة حســـناء مع ابنتهـــا روح.. وباقى الصفحات على التوالى صفحة مكتوب بها أحبك.. وصفحة أكرهك.. حفظ ملف حسناء ليومنا هذا.. مبهما.. غامضا.. لا أحد يعرف كيف يحل ألغاز قصتها وما كان يـــدور حولها.. لكن المؤكد أن هناك رباطا وثيقا بين المرض النفســـى.. .والعالم السفلى.

***

الخاضع

أحمد القن

كاتب رعب مغمور أبحث عن التميـــز و الاختلاف، يصادفنى أحياناً بعـــض التوفيق بالمنتديات الأدبية المهتمـــة بالقضايا الغريبة و صفحات التواصل الاجتماعى حين أشـــارك بكتابات لأقيس حجم التفاعل و قوة تأثـــير كتاباتى على المتلقى، فأجد فى المقابل نقدا غير حقيقى أو بناء، بالإضافة للفهم العقيم الحالى لمفهوم كتابة الرعب المختزل فى أحشاء ممزقـــة و قمر يحول البشـــر لذئاب تركض لعـــض ضحاياها و آخرون بوجوه شـــاحبة تمتص عاثرى الحظ بنابين بارزين.

كنت فى حاجة للإيمان بقوة الشـــر لأمتلـــك خاصية الاختلاف، وكنت على يقين بأن كل هذا البؤس و الســـواد المقيم فى نفوس البشر لابد له من مصدر، لا يمكن أن يكون الإيذاء و القتل و الخسة و الكذب و الرياء و الطمع و الرغبة و الاشتهاء وليد نفس بشرية ولدت به ليختلط عليهـــا طهرها و عهرها فتقف بين خيار دائـــم للجنة و النار، للأبيض و الأســـود، كنت حاسما فى كل شئ لا أحب الألوان الرمادية ولا المناطق الوسطى غير المفهومة، كنت أبحث عن الخير أو الشر لأتفهمهم و أعتنق الأقوى و حتى أصل لحد اليقين الخاص بى، اعتزلت الحياة الاجتماعية، كنـــت أكتفى بما هو ضرورى و أتحدث فى نطاق التعامل والمفروض.

أقيم بعمـــارة بمنطقة راقية و هادئة تتناســـب مـــع طبيعتى، أختار فى حيـــز المعارف من يتفهم طريقتى بالحيـــاة، أمتلك محلاً للهدايا و الأنتيكات يملك سمعة معقولة، تديره فتاة ملتزمة دينياً، مريحة، بوجه بشوش طيب هى نموذج لليقين . لقد توصلت مع قلبها وعقلها للاختيار الصائب، فوجدت فى اللون الأبيض راحة. هى غالباً لا تكرهنى، لكن كل

شئ غير مفهوم مربك و هى لا تفهمنى، يقينها يخبرها بأنى طالما مسلم لابد و أن أصلى وألتزم، وأقوم بأفعال المسلمين، يقينها يربكها كونى لا أسبب لأحد ضرراً و منطوٍ و تقريباً كريم و صامت أغلب الوقت، وهى بيقينها صفات حميدة لا ينقصها إلا أن ألتزم و أرتاد المساجد لأفوز بالجنة. لم أكن أحاول فتح أبواب نقاش معها رغم محاولات ساذجة منها و بعيون تلوم وتحاسب، تنظر لى بكل وقت للصلاة فأهز لها رأسى لتختلى بربها بعض الوقت بغرفة جانبية و تقف بين يديه تؤدى فروض الصلاة مطمئنة. كم أتمنى أن أصل يوماً لهذه الدرجة من الراحة والثبات.

هى وجدت الله، لكنى لم أصل بعد ليقينها، لا أزال أتأرجح بين الممكن و المستحيل، أبحث عن الإيمان المطلق بالخير و الشر. كل شئ عندى مدفوع لأقصاه حين أستظل بالحيز الأسود، أكون عربيداً جداً، أقامر بكل شئ حتى بعمرى، و حين أقف بالقرب من اللون الأبيض أكون هادئاً جداً ووقوراً.

وكما تمثل إيمان فى محل الهدايا اللون الأبيض، تسكن رباب فى الجانب الآخر بكل ما فيه من قتامة. رباب تعطينى جسدا جائعا دائماً للرغبة، و شفاه لا تسأل أو تحاسب. لقد سحبها لمداراته اللون الأسود أخذها كاملة غير منقوصة، فهربت من أهلها أو تغاضوا عن هروبها ليرتاحوا منها تجد دوماً من يعطيها مالاً؛ فهى متاحة بدرجات مختلفة للجميع، و أنا أكره شعور الاجتياح حين يتملكنى لامرأة فأهاتف ربابا لتعطينى جسدها لأكفن فيه رغبات التطلب ليستريح عقلى و أفكر بهدوء، أحياناً أنظر لوجهها وأتذكر إيمان كيف تحيا رباب مع هذا الجرم الكبير مرتاحة الضمير، هادئة الملامح، بالتأكيد لأنها وصلت

لليقين و اختارت فى اللون الأســـود حياة مهما طالت أو قصرت ستنتهى.

أتذكـــر جيداً أنها ضاقـــت أمورها جداً وطلبت منـــى مالاً فرفضت قاصداً مراقبـــة ردة فعلها، كانت تطلب من الله تدعوه بملامح ذليلة أن يرســـل عطاياه أو أن يفرج كربها أن رباب يسكن فى قلبها الله، تعرف أنه من يمنح الرضا والســـرور، الضيق و الفرج، الصحة و الضعف.

تعـــرف أن هناك جنة و ناراً لكنها اختـــارت أين تقف من اليقين، هى تعرف على الأقل و مسئولة عن اختيارها. الغريب أنها رفضت تلك الليلة أن تتعـــرى أمامى و كأنها تريد أن تقنع الله أنها خيرة ومع أول بادرة من التغير ســـتعود للصخب. أدركت أنها بلهاء، الله لا نملك أن نراوغه يا رباب، الله أكبر من حماقاتنا!

خرجت يومها للشارع أبحث فى وجوه الناس عن الخير و الشر، الخير الكامل و الشر المقيم، كنت مغتسلاً نظيفاً فعرجت إلى مسجد توضأت و صليت و جلست أبحث عن البياض فى الوجوه.

كان هناك على اســـتحياء موجود بعيون مطمئنة وبعيون أخرى تائه وســـط شراســـة الحياة بوجوه متعجلة تهرول للبحث عن أشياء غائبة و بعيدة قد لا تملكها أبداً، لكن يبقيها الشـــغف على وعد مع الأمنيات.

كثيراً شاركت بجلسات تحضير للأرواح و تنقلت بين حيل الدجالين ورأيت أشـــياء مربكة و أشـــياء ساذجة و أشـــياء غير مفهومة لكنها دوماً غير محســـومة، قابلة للتأويل لا رأس لها ولا ذيـــل، دوماً الأمور الغريبة لا تخضـــع للقياس وما لا يخضع للقياس يخافه الناس و يرهبه العامة.

فى رحلتى لليقين احتجت لشىء قوى يتجسد فيه الشر، لو افترضنا أنه مخلوق اسمه الشيطان، ناديته ساخراً فى ليالٍ حالكة أن يخرج من طيات اللون الأسود حتى قابلت راغبا.

عقدته كانت فى كونه بلا أب، و هو يعيش مصحوب بلعنة الاسم اللصيق به، اسم أمه، راغب ابن تحية العالمة، لم يره أبداً، سجن و هو فى بطن أمه و حصلت على الطلاق و غادرت مع فرقة ترتاد الموالد راقصة رخيصة تهز أردافها و بطنها للمحرومين و المراهقين بالقرى والنجوع فى سيرك يعتمد على حيل مكررة و فتاة بصندوق زجاجى من عشرين سنة تسمى نفسها وردشان وتحيا على العصير جسداً بلا رأس.

كان والده النموذج الأول للإله، وبغيابه اهتز إيمانه فصار صاخباً يحمل كماً هائل من التمرد و الغضب والفوضوية، حانق على كل شئ، كاره للأبيض و مقيم فى السواد.

قابلته على هامش الحياة فى جلسة بمكان يعرض فقراتهم الساذجة، شعرت تجاهه بانجذاب غريب و تحدثنا لاكتشف كم الطاقة المحيطة به.

كان يملك كتبا صفراء بلغة غريبة و يمارس طقوسا أغرب، أغلبها مقزز لكن أثار اهتمامى و شغفى أول خيط حقيقى أجده للشر المجسد فى كائنات ضئيلة تحيا بغرفته، مسوخ صغيرة شيطانية لأشباه رجال متقازمة قاماتهم حد الهول حد الهول، كانت تتمسح فى أقدامه و يزيحها جانباً من على كتبة الملعونة كأنه يبعد قطه الأليف.

نفضت دهشتى وأنا أطالع نظرة الجنون فى عينيه وهو يرسم صلباناً

مقلوبة و نجمة داوود و يسكب سوائل ويناجى الشر، لم يكن البحث عن مال ولا سلطة كان مسحوباً لبقعة أكثر سواداً و أكثر عتمة. كان متزوجًا من فتاة ضئيلة تنظر لكل هذا بعيون ثابتة و تمارس الحياة كصنم، احتجت جهداً كبيراً لأكتسب ثقتها، وحين اطمأنت لى سألتنى بذعر: هل حين يطلب منك مضاجعتى ستفعل؟

نفيت تماماً ما تقوله فبكت و حكت لى ما هو أشد هولاً مما أرى. إن راغب، على حد روايتها، تمتلكه جنية أو روح شيطانية، فى حكم الزوجة تجبره أن يعنفها و يعاملها بقسوة وحين تغيب يعود و يعتذر لها و يطلب الرحمة والغفران و تلك الروح الشريرة تأتى للبيت تأخذه أحياناً لأيام يغيب فيها و يعود غريب الأطوار.

وهى لا تملك الفرار، حين تقرر الهرب تصاب بشلل نصفى يقعدها عن الحركة، حين ترضخ تعود سليمة تماماً، وتقبل هذا الحياة الكريهة مجبرة مقهورة.

بعد أيام تلمست الحقيقة فى روايتها. راغب فعلاً كانت تمتلكه قوة ما، رأيته بعينى يمارس أوضاع عجيبة على فراشه مع شيء غير مرئى أو ملموس، و رأيت زوجته نبيلة فى قهر حقيقى، تجبر على أكل طعام فاسد و حين سألتها وأجابت أنها أوامر الروح الشيطانية.

فكرت لم راغب لا يملك حياة رغدة و مالاً وجاها طالما لديه مصباح علاء الدين هذا، كانت الإجابة على هيئة محفظة لا تفارق جيبه، أخرج فارغة و أمام عينى المندهشة راح يسحب منها أوراقاً مالية من فئة ضخمة

ويضعها أمامى أكثر من خمسين رزمة، و يطلب منى الانتظار و الصمت، بعد دقائق اختفت، تلاشت أمام عيونى غير المصدقة، راغب يملك أموال الدنيا و محروم منها لأنه رفض أن يقتل نبيلة، كان هذا هو طلبها الأول فعاقبته وعاقبتها، لو قبل أن يفعل لاختلف الحال لكن بقايا إنسانيته و حبه لزوجته جعله يحيا هذا العذاب السيزيفى الإغريقى العجيب.

أشفقت جدًّا عليه و نصحته أن نبحث عن حل لفك تلك اللعنة لكنه بدا مذعوراً مرتعباً من مجرد التفكير فى الخروج من المأزق، هو لا يلوم أحداً، هو يلوم ذاته حين استرق السمع لنداء فوضاه لتتبع السحر الأسود بحثاً عن الخلاص و الانتقام من الجميع فسعى لربح رضا الشر، كتباً شريرة و تعاويذ غريبة تتطلب الخضوع لخطوات موحلة ومنافية للعقل والمنطق وضد طباع الإنسان ما قام به راغب لإرضاء الشر يفوق أفعال السفاحين و المرتزقة و أكثر المجانين هوساً.

و لم يربح إلا عشق روح شريرة استأثرت به لكن ببقايا إنسانية عالقة رفض قتل نبيلة ليلاقى عقابا يفوق كل تخيل و إدراك.

لم أتوقف طويلاً عند قصة راغب، كانت قصته هو والعقاب عقابه هو و تساءلت لم تجاوزتنى تلك الروح رغم محاولاتى لإقناعهم بأن نتخذ ضدها أموراً للخلاص، حكيت كل هذا لصديق لى يعتنق فناً غريباً اسمه المينيماليزم. هى مدرسة تجريدية فى الرسم والنحت ويستخدم الواناً أحادية و أشكالاً بسيطة للتعبير عن رؤيته، لم أحب ما يفعله لكنه مقتنع به ويجد دائماً من يقنعه.

كنت فى شقته وورشته بنفس الوقت التى تطل على شواهد للقبور، مكان يليق بجو قوطى للكتابة، هو يسافر لمعارض بالخارج و مفتاح شقته فى متناولى دائماً، أحضرت ورقاً و قلماً و جلست أبحث عن فكرة لقصة مرعبة.

ثلاث فناجين قهوة و خمس سجائر و لم أكتب حرفاً. عاهدت راغب ألا أفضح سره، و أن أتناسى كل شئ مما رأيت، وسمعت حتى الأقزام الصغيرة لرجال بلحى ووجوه مسحوبة كالماعز أغفلتها لأجل وعد أحمق. كنت سأكتب شيئاً رائعاً لو كنت رجلاً لا يحتفظ بوعود ولا يفى بعهود.

على شجرة توت كبيرة أمامى حط جسد لطائر ضخم قليلاً و كان ينظر لى مباشرة. أعرف أن أنواعاً من العقاب المصرى تقطن بتلك الأنحاء، لكن فى الواقع هذا نسر وليس عقاباً ولا صقر. نسر أفريقى بعنق طويل وعارٍ، لا أملك خلفية ثقافية هنا بأى حال من الأحوال. كان مهيباً فى خلفية السماء و ضخامته متجسدة بسيلويت كلوحة فنية وامتد عنقه قليلاً للأمام لتستقر رأسه فى قمر قارب الاكتمال. لم يكن منقاراً معقوفاً كما توهمت، بل رأسًا بشرية لسيدة عجوز تنظر لى بثبات.

انتابتنى رعشة غريبة، أنا من اكتفيت من الاندهاش وأبحث عن الشر المتجسد فى صور شعرت بأنه رسولاً من قبل أحدهم. اقتربت من خصاص النافذة و بحركة عفوية قبضت على مقعد خشبى و سحبته فى يدى و أنا أقترب ليمد الطائر جناحيه و يضربهما فى الهواء و يبتعد ليختفى أمام عيونى المندهشة، كان لدى شعور بأن هناك شئ ما حولى بالقرب منى له أنفاس كريهة يتشمم ويتربص، شعور قابض و سخيف، كنت أريد شيئاً مفهوماً ملموساً وواضحاً.

لكن تلك الأنفاس و صوت مكتوم غير محدد المصدر لشيء زاحف حولي مصحوب بطنين غريب أشعرني بالضعف فبحثت في جيبي، سأهاتف الله لأستقوى به من شئ لا أراه و أرهبه، ضغطت الزر فصدح صوت عبد الباسط في سورة التوبة ليرتطم في نفس الوقت شئ بالأرض كتلة راحت تتلوى للحظات متداخلة التفاصيل لرأس و أطراف أعقبها وميض و صمت تام إلا من صوت الشيخ الملائكي يتلو ما تيسر من الذكر الحكيم.

في صفحة مهتمة للرعب تحظى بشهرة كبيرة ومتابعة ضخمة، نشر أحد الأعضاء إعلاناً غريباً يطلب فيه فتاة بمواصفات خاصة لمشاركته في حفل لقربان، كان الإعلان مختصراً على مواصفات الفتاة و فكرة كونها ستقدم لروح شريرة لتسكنها. بدأ الأمر و التفاعل الكبير على البوست أكسبه حساً فكاهياً. بشكل أو بآخر، كانت المواصفات تنطبق على رباب حين عرضت عليها الأمر تحمست جدًّا كأنها لعبة و كنت في حاجة ماسة لارتياد عوالم أكثر رحابة، حاولت الاتصال براغب كان قد غادركل مكان أعرفه بلا رجعة وراسلت صديقي في جنوب أفريقيا حيث يقام معرض المينيماليزم، فأكد لي بأنه تلقى عرض عمل جيد، وسيظل هناك طويلاً و تقريباً أشعرني بلهجة أسيفة أنه لن يعود و أن شقته بيتي و مكاني و إن راق لي الأمر يمكنني العيش هناك بشكل دائم.

راسلت الشاب صاحب الإعلان بأن فتاته و بنفس المواصفات موجودة و ترحب بشرط الجدية، أبدى تفهمًا واضحًا، و كان مهذباً في الرد و أعطاني عنواناً و اشترط أن أقابله هو، وأن وجودي مرهون بمسافة لا تقل عن عشرة أمتار لأسباب تتعلق بالطاقة المطلوبة لاتخاذ القرار

دون تأثـــير من المرافق كما يشـــترط كتاباً غريب الاســـم ذكره لي.

رأيته قراراً عادلاً عشرة أمتار تكفى جداً لحماية رباب فى حالة حدوث مكروه. اخترت المكان فوافق على الاســـتبدال، الفراغ جعل ربابا فى حالة من الشغف كأنها ســـترتاد سينما أو ستدخل ملاهى للمرح. قابلناه أنا على مســـافة معقولة بأحد الكافيهات بمول شهير ورباب أمامه، تحدثنا لأكثر من ساعة و غادر. كان رجلا أربعينيًا له مسحة من ملامح أوروبية، وقور، يرتدى بدلة رمادية اللون بلا رباط عنق وله شعر ناعم ينسدل على كتفيه وله نظرات حادة قوية، بدا تأثيرها واضحًا على رباب حين عادت.

كانت ســـاهمة و غير متوترة، هدوؤها الغريب أشعرنى أنها تعرضت لحالة من التأثير المغناطيسى، أو أن قوة الرجل النفسية مستها بشكل ما. كانت بيدها صندوق متوسط فى حقيبة هدايا به مراهم بروائح نفاذة، طلب منها استخدامها وورقة مكتوب بها جدولا يماثل خطوات الحمية الغذائية، مطلوب منها أن تلتزم بها لانتصاف الشهر. كان قرارها محسومًا و على أتم الاستعداد، ومقتنعة تماماً بما ستكونه. قصصت لها تجربة راغب من باب أن أرفع عنى المسئولية، لكنها لم تهتم و شعرت بدورى بشغف التجربة، لست خيراً لدرجة الندم فرباب تحيا بشكل فوضوى ومجنون ولن يضرها أن تكون فوضويتها فى عوالم الســـحر، و هـــى ناضجة بما يكفى لتقرر.

فعلاً بعد أســـبوع كانت رباب تتبـــدل، صارت أكثر نضارة و جمالاً و حيوية، وبشرتها صارت أنعم و أجمل، كانت سعيدة بكنزها الجديد و هى ملتزمة بالجدول و نتائجه تبدو واضحة جداً.

أكاد أجزم أن عصا ساحرة سندريللا العجوز حولتها لأميرة لتلاقى حبيبها بحفل راقص بعد أيام حين جاءت الليلة الموعودة، التقوا فى دائرة كبيرة بمنطقة متطرفة من الصحراء الشرقية قرب الكريمات بجوار مبنى يشبه الضريح متهدم. أشعلوا ناراً و ارتدت رباب زيًّا يشبه زى العروس المغربية ليلة زفافها و كانت هادئة جداً. سمح لى الرجل الغريب بالوجود فى سيارتى على مسافة معقولة بشرط عدم التدخل أو التصوير و فتشونى جيداً و تركونى أراقب. كانت طقوسًا كأى طقوس شاهدتها أو أعرفها، مناجاة بعبارات لا تفهم بلغة قديمة و نجمة الشيطان ذاتها و دماء ورقصة محمومة و حركات مجنونة تشعرك بأنهم يقدمون فروض الطاعة لشىء ما.

حين نامت رباب فى المنتصف فى قلب النجمة السداسية المقيتة و تشابكت أيديهم، حدث الوميض وانتفضت رباب بعنف و هى تطلق صرخة خيالية لا تخرج من حلق إنسان، لم أجد نفسى إلا وأنا أسحبهم من فوقها و أيديهم تشل حركتى، ورباب تفتح عينيها و خيطان من الدم يسيلان من طرفيها، تراخت قبضاتهم فانطلقت نحوها لأحتويها لكن عيون لا تعرفنى، استوقفتنى و بيديها لطمتنى على صدرى بقوة عشرة رجال لأسقط فاقدًا الوعي.

حين استفقت لم أجد أحدًا، وجدتنى بسيارتى وهاتفى به بطاريته، أعادوها فحاولت الاتصال برباب فلم أجد ردًّا، أدرت مقود السيارة، لم أجدها بالمنزل، كانت متروكة لى رسالة بخط يدها تخبرنى فيها أنها وجدت حياتها وتشكرنى كونى أريتها الطريق و طلبت ألا أوجد إلا

بآخرعشـــرة أيام من كل شهر، و أنها ســـتكون هنا بشقتها على مسافة مـــن النافذة بعيدة نوعاً، رأيت طائر النســـر العملاق يقف ووجه العجوز ينظر تجاهى بشـــكل مباشر و مستفز، فقررت أن أعود للمنزل حيث بدأنا التعـــرف على قصته، لا يزال مفتاح شـــقة صديقى بجيبى وروحى على كفى لأصل لحل فى يقينى بأن شـــيئاً ما فى حياتى يحتاج للحســـم.

حين عدت لشـــقة زيان صديقى شـــعرت بأن المـــكان قابض فعلاً، هى الوحيدة المســـكونة بمبنـــى مكون من أربع طوابق، الـــدور الأرضى مخبز مغلق، الدور الثانى شـــقة صاحب البيت و هـــو مقيم بمحافظة أخرى و الدور الثالث لزيان وهى عقد لعشـــر سنوات مر أغلبهم، و الرابع روف لا يســـتخدم إلا نادراً من صاحب البيت. كانت أغلب بيوت المنطقة تتشابه بنفس عدد الطوابق تقريباً و بلون موحد، لكن هذا البيت بخلاف الجميع متطـــرف بالقرب من مدافن قديمة يعمل الحـــى على نقلها لكن يواجه مشـــاكل كبيرة مع الملاك. سمعت أنه واجه مشاكل أكبر مع المكان نفســـه حين حاول إدخال المعدات، يبدو أن انعكاســـاً لنفوس أهل الموتى جعلهم بدورهم رافضين فتعـــرض أغلب الرجال لحالات صرع و صداع و قىء، فغـــادروا المكان فى فوضى كبيرة.

قال لى زيان أن شيئاً شـــريراً يسكن هذا المكان، فى الحقيقة أول شيء قالـــه لى بحفل لعمر خيرت جمعنا بالأوبرا حين قدمت له نفســـى بأنى كاتب رعب مغمور ودعانى لرؤية شـــقته الغريبة. كان فنانًا و مصممًا بارعًـــا لبيوت بالفـــن القوطى ووضحه لى بأنه حرفيـــاً يعنى جرمانى أو تيتونى يثب فى أذهاننا مباشـــرة شـــكل قلاع مصاصى الدماء من القرن

الثانى عشر بتلك الأعمدة و القباب والأسهم المدببة حيث القلاع المظلمة و النفوس المعقدة والأجواء المشـــحونة بالتوجس و القلق.

قلت من قبل أنى أختار رفقتى، كان زيان مثلى، يرفض أسس المجتمع العاقل، مزاجه وفنه و نظرته للأمور تتوافق لحد كبير مع إدراكى للتكشف، لن تعرف الحياة من رجل يحيا بعيداً عن الخطر والألم، لن تدرك قوة الحياة إلا فى ملامح شخص موجوع و محروم منها، كنت أزور مستشفى ٥٧٣٥٧ لأراقب العيون و الوجع الساكن بنفوس تضمر و تبهت، كنت أشعر بحاجتى لرفـــض الانغماس فى اللذة بتذكر أن الحياة زائلة و أنها ســـقط متاع.

وكنت أسعد بابتســـامة الأطفال هناك و هى تفرح بأشياء بسيطة و هدايـــا متواضعة تعدهم لـ إيمان وهى تدعـــو لـ بالهداية. هى صاحبة الاقتراح و تقبلته منها برضا.

كان زيان يرســـم لوحات قوطية كبيرة بحجم جدار كامل، توقفت أمام واحدة منبهراً بهذا الجمال، شاعراً برهبة حقيقية، أشعر للحظة أنى أمام بوابة زمنية وليست تجسيد لفن معمارى قديم. لكنه ترك كل هذا و تخصص فى المينيماليزم معللاً أن البساطة و التجرد هى أصل الحياة. حين انتهيت شعرت بالجوع، أعرف أن الثلاجة بها معلبات وأكل محفوظ، نسيت أن أشترى سجائر، هممت للخروج لأجد مفاجأة من العيار الثقيل تنتظرنى . لم يكن الباب مكانه، فعلاً لم يكن الباب موجود من الأســـاس ولا الشـــباك المطل على القبور، كنت سجين البيت. جلست على مقعد بمنتصف الصالة لأســـتوعب الأمر وكل حوائط البيت تتعرق و أشـــعر بأنها تتنفس بشكل بطيء و ثقيل.

لكن الهواء كان جيدًا و كنت أتنفس بشكل طبيعى رغم أن الإضاءة صـــارت خافتة نوعاً مـــا، حوائط البيت لم تعد لامعـــة أو مصقولة، لقد ســـبغت اللوحه القوطية الجدارية الكبيرة المكان بجو قابض و صارت بها منحنيات وتعاريج مميزة و كأنى فى كهف لقلعة رومانية قديمة، كانت هناك أرقام مكتوبة على الجدار أمامى تمثل تاريخاً ضاربًا فى القدم غالباً رأيتـــه تحت اللوحه الجدارية ١٥٣٩م رأيـــت بعقلى ما ينبئنى بأنها تاريخ أشد عصور المسيحية ظلاماً.

كان شـــيئاً فى هذا المكان يريد منى شـــيئاً، طاقة كبيرة تبحث عن الانعتاق، قد تكون ســـجينة المكان أو سجينة اللوحة القوطية القابضة أو المبنى نفســـه. وفى دخيلتى شعرت بالأجوبة بعقلى تتداعى. زيان يعرف كل شـــئ وشارك فى الأحداث من البداية للمكان قوة تأثير أجبرته على فعل أشياء شـــريرة، زيان كان يحضر للمكان هنا ضحاياه تحديداً غذاء تلك اللوحات الجدارية الضخمة، تتنفس و تختزل داخلها شراً كبيراً، و تحتاج لمن تمتص منه رحيق الخلود و نبض الاســـتمرارية.

بنفس الوضـــع و الحالة هى الآن تمتص من جســـدى نبض الحياة، أشعر بالخدر و أنا أســـتلقى و قواى تنساب من عروقى و فى صورك شرز و خيوط فضية تجاه اللوحة لكن لأسباب ما توقف الأمر وعاد كل شىء تماماً كما كان.

الإضـــاءة والحوائـــط المصقولة و اللوحة الجداريـــة تطل على عالمنا ببراءة لوحة مرســـومة بإتقان. لكنى أعرف السر و أعرف التكليف، زيان هرب خارج البلاد، ولم يعد أمام تلك القوى سواى، أنا مطالب بأن أحضر

لها من تمتص منه نبـــض خلودها لتبقى. وبداخلى تكليف إن لم أتخذه بمحمل من الجد سأنال عقاباً.

كان الطائر المســـخ ينظر لى من خلف النافذة بعيون ثابتة من رأس السيدة العجوز حين دققت فى أحد القباب فى اللوحة، كان هناك يقف، إنه رسول الشر و مبعوث الجحيم لكابوس لا أعرف من جاء به لزيان و غادر.

كنت مؤمنا بأن جزءًا من الشر هو نفوسنا فى رواية لجوزيف كنراد اسمها (قلب الظلام) وظلام قلوبنا كبشر وأننا نشارك بصنع جحيمنا الخاص او الجحيم للآخرين.. تلك اللوحة قد تكون مصحوبة بلعنة أو بإرث من الدم والشرور لتبقى وتبحث عن زادها من سلب الأرواح رغم رحيل صانعيها، إنها الآن تســـكن جزءًا من عقلى وتطلب منى أن أرويها بحيوات البشر، كما كان يفعل زيان فى كل هذا السواد، شعرت بالحاجة لرؤية إيمان، كانـــت تمثل بقعة الضوء الوحيدة بكل تلـــك القتامة فعرجت للمحل ورأيت بعيونها فرحة لا تخفى علىَّ لو بحالة مزاجية افضل وبحياة اكثر اســـتقرارا من يدرى؟ قد يكون حينها لى فيها حسابات مختلفة... كانت جميلـــة ونضرة ونقية.. حدثتنى أن رباب ســـألت عنى.. فقمت بالاتصال بها فوجدتها فى شقتها..

ورببـــاب كما أعرفها غير منقوصة.. لم تكن لتذكر أبدا شـــيئا مما حدث، لكنها تعرف أن فى مواعيد معينة من الشـــهر ستكون تحت سطوة كيان معين وقوة كبيرة تحتل جســـدها..

شعرت بالحيرة وأنا أخرج ورقة واكتب.

راغب، ورباب، وزيان، ما القاســـم المشـــترك بين ثلاثتهم ولما فى كل حكاية منهم روح شـــريرة تسكن العمق..

جنية ســـفلية فى حياة راغب وكيان شيطانى فى جسد رباب والآخر روح شـــريرة فى لوحة قوطية من قرون تســـتمد بقاءها من سلب الأرواح ونبض البشـــر، وأنا شـــاهد على كل تلك القوى والحالات لأنى أبحث وأتقصـــى وأهتم لرغبة دفينة بأن أرتقى بـــأدب الرعب لأنى أقابل بنظرة متعالية من كتاب الأدب الموازى، كنـــت أريد أن أبرهن أن الرعب حالة اجتماعية كالحب، بل أشـــد ضراوة لأن العاطفة الأقوى هى الخوف.. .فى الحالات الاجتماعية الثلاثة نظرة إنسانية مدققة فراغب قبل عقابه المهـــين لأنه أحب نبيلة فعلا وكونه يدفع ثمن شـــروره لأنه لم يحســـب للاختيار حسابه.. ورباب باعت جسدها للشيطان هذه المرة كما كانت تفعـــل دوما لطالبى المتعة المحرمة وأنا منهم وزيان باع فنه وقبل أن يكون خادمًا لشيء شرير انسحق أمام رغبته فى التكشف.. وأنا بدورى أفعل.. فهل أمتلك القدرة على الفرار؟!

هل تلـــك التجارب كافية لأدرك أن اليقين فـــى حياة إيمان النقية والاحتماء بالله كما تفعل هى بوجهها البشوش المبتسم الهادئ المطمئن..

لقد فعلت واحتمت بالله حين سقطت تلك الكتلة الهلامية المتداخلة الأطراف بالبيت أول مـــرة واختفت حين خرج من هاتفتى صوت الذكر الحكيم.

أكاد أطمئـــن لقرار بدخيلة النفس لكن هناك عدة خطوات يجب أن أفعلها قبل الحسم..

كان الإغراء والغواية أكبر منى..

كانت جميلة بشكل متوحش..

دعوة من رباب..

وكنـــت على خلاف بينى وزوجتى التى حاولـــت عابثا معها أن أصل لحل لكنها رفضت.. كانت إجازتى يومين فقط و أســـافر بعدها للسلوم مجددا لموقع العمل فأنا مديـــر لأحد مصانع الحديد هناك.. فكرت فى رباب كوســـيلة لمعاقبة زوجتى الرافضة دومـــا وجودى على نقيض رباب التى أجدها دوما وقتما أريد..

هاتفتها فوجدتها مستعدة.. ليس فى شقتها أو فى فندق.. هذه المرة فى سيارتى خارج حدود طريق القاهرة بعد بوابة لمنطقة تدعى الكريمات، وبجانب الطريق توقفنا وكانت دافئة وجميلة وشهية، وما إن اقتربت من شـــفتيها إلا وشعرت بخدر ووجهها كله يتحول لمص عملاق! ويداها تخرجان منها خيوط هلامية لزجة تقذف بوخزات كالإبر لأكون مثل ذبابة ســـقطت فى بيت عنكبوت.. . ارتدت ربـــاب فجأة للوراء.. وحينها رأتنى قد هرمت عشر سنوات على الأقل وضمر جسدى..

لم اجد لما حـــدث فهمًا ولا معنى.. ولهذا أتيتـــك لثقتى فى كون لديك تفســـير، ربما لأنك كاتب رعب وبالأمـــور الغريبة مدرك..

انتهت روايته و انتظر منى الرد

كم روحا نحرت رباب فى شهورها الأخيرة؟!

وأنا شـــاركت فى هذا الكابوس، لقد ســـرقت من هذا الرجل سنوات عمـــره وإن كانت عدالة كونه أخذ عقاب جـــرم وإثم كان يرتكبه وأنا بدورى أسعى لأستغفر الله عنه.. .أخبرته أن رباب يسكنها شيطان رجيم وأن عليه مســـاعدتى لنخرجه منها أو على الأقل لننقذ الآخرين..

أجرينا بالفعل عدة مكالمات لمن نعرفهم لنخبرهم أن رباب لديها مرض جلدى خطير ونحذرهم من التعامل معهم بأى حال كونها ستعديهم.

(هكرت) حسابها الشـــخصى وكتبت فيما يوازى معنى التحذير من العدوى بلهجة أقل حدة كونها تبحث عن حل أو مساندة.. . سببت لها الفوضى وحين اتصلت غاضبة هددتنى بالقتل فأخبرتها أنى سأقتلها.. وأنى موجود بشـــقة زيان الذى تعرفه جيدا وزدت حدة صوتى وأنا أخبرها أنى لا أخشاها فصرخت بغضب أنها ستأتى لـ.. .

انتظرتها هناك وأنا مســـتعد تماما لأواجه قطبى الشر ولا أدرى هل ستتنافر أم تتجاذب؟!

وهل سأخرج سالما أم سأنسحق بينهم؟!

كان لابد من فعل هذا مهما كانت النتائج لأصل لليقين.

كنت أعلم ان الفترة القادمة حاسمة جدا فى حياتى، لوحة شـــريرة تطالبنى بالخضوع لها وشـــيطان يسكن روح رباب يتوعدنى بالقتل ونسر

برأس بشـــرى يتابعنى من فوق أســـطح البنايات.. بحثت فى أوراق زيان ككل الفنانين يصور أفراحه ومخاوفه بصور ويرسم وجها مذعورة وأرقام بدوائر وأسماء مســـتعارة لفتيات ليل، من الطبيعى أن يستقطب للوحات مهمشين ليبتعد عن المحاسبة القانونية..

السؤال هنا كم روحا تحتاجها اللوحة القوطية الملعونة فى شهر؟

كنـــت ملتزما مؤخرا بالصلاة وأحتفظ بمصحف أهدتنى إياه إيمان فـــى العيد، لقد كنت فى معركة وأحتاج لأن أتســـلح بكل عتاد يضمن لى الســـلامة، أحتفظ بقاذفة لهب صغيرة فى شـــقة زيان على أساس أن الشـــياطين قد تؤذيهم النار قياسا على أذية الطين لنا.. .ليالٍ طويلة لم تأتِ رباب لكن حين أتت كنت مستعدا على الأقل نفسيا.. حاولت طبعا التخلص من اللوحة لكن طاقة عجيبة تزيح الفكرة بمجرد أن اقترب من الحيز المكانى.. وأنا بعيد أفكر بمنطق، لكن حين أدخل حيز شـــقة زيان أصبح مشوشا جدا ولا جزء منى يقاوم..

أرسلت عمالا ليتخلصوا من الجدار كله وأنا خارج المنزل وحين عدت لإعطائهم أجرهـــم لم أجدهم، بل وجدت ثلاثة أطـــراف جديدة مدببة ضيفـــت على نقش القلعة فى اللوحـــة لم أحتج لجهد كبير حتى أفهم أنها أطراف العمـــال... لابد أن ينتهى هذا الكابوس.

وصلت رباب، جلســـنا بالصالة وكانت بحالـــة طبيعية إلا من عيون لئيمـــة ترقبنى بمكر قالت: إن حيلـــة الغواية لن تليق..

وأنها تملك القدرة على سحقى لكن لأسباب أخرى ستعطينى فرصة لأبعد عـــن طريقها، يكفى أنى كنت الوســيط وهذه دلالة على كونى معفيًا من القتل.. .

كانت معلومة قيمة حقا حيث إن كونى وســيطا فى إحضار الجسد المضيف أخرجنى من حيز الضحية.. وقتها أخرجت قاذفة اللهب وابتدأ المرح، لم أكن أتخيل أن الشـــر حين يتجسد سيكون بهذه البشاعة.. لقد ســـال من عيون رباب خيط من الدم وتوحشـــت ملامحها الجميلة حين اســـتطال الرأس ممص عملاق أقرب لشـــكل خرطوم الفيل وامتدت من الأصابع خيوط هلامية لزجة تنتهى بإبر رفيعة، وبالفعل كان للنار تأثير قـــوى على حمايتى، لكن الكائن كان يدرك إن عاجلا أم آجلا ســـتنتهى اللعبة، وســـتصير القاذفة قطعة معدن فراح يبتعد عن حيز النار بفحيح قوى، ومن خلف كتفه خرجت من اللوحة ثلاث نسور قوية بوجوه آدمية بشعة وتحولت حوائط الشقة لجدران تشبه القلاع واختفى الباب وأحاط بنا الجو القوطى والنســـور تقبض على ذراع الكائن الشيطانى.

كنـــت اجلس فى ركن مرعوبًا أراقب كل هذا الهول، والكائن يقاوم باســـتماتة لقوى يبدو أنها تفوقه عمرا وطغيانا، لكن النسور كانت أشد بأســـا وهى تضرب بجناحيها تجاه اللوحة والوجوه الآدمية المقيتة تطلق ضحكات كما الســـاحرات الشريرات وعلى الجدار تم الفصل..

الكائن يســـحب وجسده يصنع شررًا وومضات واللوحة تمتص وجسد رباب يســـقط أرضا فسحبتها بجهد عظيم وهى فاقدة للوعى.

كانت اللوحة تمتزج وتهتز يبـــدو أن صراعًا عظيمًا يحدث بالداخل والإضاءة عـــادت والباب أمامى ورباب تحت قدمى.

الصورة على اللوحة مشوشـــة جدا ومختلطة والقلعة جزء من سورها تهدم، شعرت أن الكائن البغيض يملك قوى ليست بهينة أو بسيطة، وأنه لا يزال صراع قائم بين قوى الشر.. .

هاتـــف خفى أخبرنى أنها لحظة لن تتكرر وأن شـــيئا ما من الارتباك والضعف هنا فسلطت الشعلة للقاذفة تجاه اللوحة وضغطت وأنا أصرخ، وفعلا اشـــتعلت باللهب وهى ترتج بقوة، وبالخارج رأيت النســـر الغاضب القادم نحو الشـــرفة تشـــتعل به النيران ويســـقط على الأرض كنيزك محترق، كان البيت يهتز بشـــدة فســـحبت رباب وحملتها على كتفى وألقيت بكل شـــيء خلفى وغادرت لســـيارتى مســـرعا.. رميت رباب على المقعد الخلفى وانطلقت لأهرب مـــن كل هذا الجحيم..

مرت أيام هادئة بعد احتراق شـــقة زيان، ولم يقم المالك بأى إجراءات قانونية واكتفى ببيع المكان كله لشـــخص آخر، وطويت تلك الصفحة خصوصا بعد اســـتقرار حالـــة رباب ووجدت أنها لم تعد تمثل لى شـــيئًا كبيرًا وانهمكت هى فى حياتها الصاخبة والمزدحمة، كان ثمة شىء ينمو فى قلبى على استحياء تجاه إيمان، فتاة لطيفة اكتشفت فى روحها نورًا كبيرًا، وأسعدها أن أوجد بشكل ملحوظ فى محل بيع التحف القديمة.. كان فـــى حاجة للاهتمام به وكنت أعتمـــد على كونه بمنطقة راقية وزبائنـــه من الطبقات العالية اعتمدت على سمعته الطيبة وأغفلت دورى كمستثمر..

بدأت بالاهتمام بتتبع القطع النادرة من التحف والأثاث فى القصور والبيوت القديمة.. .ليمتزج عملى بحالة الشغف لكل غريب.

وخلال سلسلة من الاتصالات تلقيت عرضًا جيدًا لزيارة أحد البيوت القديمة حيث أخبرنى المتصل أن سمسارًا يهمه الربح جدا فى المقام الأول يريد أن يبيعنى بضاعته، كانت البضاعة عبارة عن طوطم صغير قبيح المنظر لقزم يمسك بيده عصا ملتف عليها ثعبان مجنح خليط من الأفعى والتنين، حاول أن يروج بضاعته على أنها شىء أثرى.. .

لم نختلف.. كان واضحا أنه يريد الخلاص من الطوطم مما أثار شكى أن أمورا ما دارت هنا.. حاولت أن أجعله يحكى لكن خوفه من عدم اكتمال الصفقة منعه... اكتفيت بالحصول عليه.. وجلست أراقبه.

فعلا به شىء بغيض ومقيت، والغريب أن اصدقائى حتى لم يدركوا لأى ثقافة ينتمى هذا النموذج السيء للقزم القبيح..

طوله أربعون سم..

شفتاه الممتلئتان تخبر أنه ربما يكون أفريقيا.

وضعته فى منزلى وتغافلت عنه برهة لأكتشف بعدها أن العصا غابت!!

ويالللهول !! العصا التى هى على شكل ثعبان مجنح أراها الآن فى حديقة المنزل المجاور تطبق على عنق كلب الحراسة!! وتبتلعه فى لحظات.

شىء أســـطورى.. أصبحت بحجم رجل ضخم.. هذا الثعبان المجنح يدور حول نفســـه بفحيح عجيب وينطلق كالصاروخ لأجده أمامى فى ثوانٍ يتحرك بالشـــكل الأفعوانى المميز.. .

لم أنطق أكثر من الشـــهادتين ووقفت متســـمرا فـــى مكانى أنتظر مصيرى..

لكنه لم يفعل لى شىء!!

يبدو أن مالـــك التمثال يحظى بتميز خـــاص ليصير هذا الوحش طوعًا له..

زحف تحت قدمى ولعق بلســـانه المشـــقوق طرف الحذاء ثم انتصب أمامى بشـــكل عجيب معتمدا على جناحين يوفران له الاتزان المطلوب.. واقترب من الطوطم والتف حوله لينكمـــش ويعود أمام عينى المصدومة عصا بريئة بيد القزم القبيح..

حين سمعت النباح فى الخارج وتأكدت أن الكلب مازال سليمًا معافىً، عدت مجددا أنظر للقزم والعصا فى يده!!

شـــىء ما غامض.. شـــىء ما حدث غير مفهـــوم والكلب لم يكن أبدا فريســـة كائن أســـطورى.. .ربما بعض الهلاوس أطلقها هذا الطوطم لأكون جاهزا لتصديق شـــىء يريدنـــى أن أصدقه.. .

الطاقة الســـلبية لتكوين الكوابيس الخارجة من هذا التمثال البشع تليق بصنـــع آلاف الأفلام الخيالية المرعبة.

هذا الطوطم يعود لســـاحر أفريقى يؤثر بـــه على أفراد قبيلته رانيت طبول وليل ورقص ورماح وقتل ورجال.. أشـــداء يأكلون عقول قتلاهم من الفرســـان إيمانًا منهم بأنها ســـتنقل لهم خبراتهم وتجاربهم، ورأيت أشياء أخرى لعصور مختلفة.. . مساوئ مرت بهذا الطوطم على مراحل تنقله من مالك لآخر، والغريـــب أنى رأيت من بين من امتلكه راغب!!

رأيته وهو يجثو أمامه ويتضرع...لأبعد حدود ممكنة من السوء ذهب راغب.. ليحظى بهذا العقاب..

هنا شـــعرت بأمر خفى ورباط لكل تلـــك الأمور.. هناك من يحرك الخيـــوط من البداية فى رحلة الشـــك واليقين الخاصة بى..

راغب والحوار الجانبى حول الغرائبية وزيان وشـــقته واللوحة اللعينة وإعلان الغريب لأدفع رباب فتكون المضيفة لروح الشـــيطان.. .

واتصال أحدهم كسمســـار بى لأمتلك فى النهاية انا هذا الطوطم وأجدنـــى أعرف تاريخه بهذا الشـــكل الواضح بعقلى هنـــاك من يدفع بحياتى ليتجسد الشر فى صورة مختلفة لإقناعى بالخضوع واليقين بأن أختار...ارتبكت أمورى من جديد واختلطت دواخلى وعزفت نفســـى عن الالتزام وتبددت طاقة نور كنت تلمســـتها أخـــيرًا.. ابتعدت عن إيمان ومحل التحف القديمة، وصرت أجلس بالســـاعات أمام التمثال، شـــيء غريب على نفســـى الامتلاك والتملك.. .كان يســـكن هذا الطوطم طاقة بغيضة كأنى أســـتقى منها الظلمة حين اتصلت بى رباب سألتها عن السبب فلم تجب.. .

كنت أعرف السبب.. دعوتها لأريها شيئا.. انبهرت بالطوطم وجلست أمامه صامتة لوقت طويل كنت بحاجة لأراقب من زاوية أوسع وأبعد..

فـــى منطقتى فى الأيام الماضية حدثـــت مجموعة أمور غريبة كلها تتعلق بحالة من الشر سكنت نفوس البشر علاقات ساءت وحوادث وطلاق بين الأزواج وخيانة وشـــرور كثيرة كنت أعرف مبعثها.. وسببها..

حتى رباب حين دخلت المطبخ وقبضت على ســـكين متوســـط الحجم كانت مشوشة فأخفيت التمثال بملائة سرير تركتها للحظات ساهمة أمام الموقد كأنها اســـتفاقت من أثر ما لم أكن أعرف أكانت ســـتقتل نفسها أم ستقتلنى.. أدركت أن للطوطم تأثيرًا مباشرًا على بعض وعلى آخرين يكون التأثير أقل..

هناك شـــيء فى قلبى وعقلى يقاوم.. قد يكون بصيصًا أخيرًا من نور يبدد العتمة..

لكن مساحة الظلام زادت... .

جاءتنـــى ربـــاب جائعة للحب وطلبـــت منى هـــذا.. أن نفعلها أمام الطوطم!!

لم أمانع رفعت الملاءة من عليه وصار شاهدًا على جرمنا.. الغريب أن تلـــك المرة لم تكن ككل المرات.. كانت أكثر متعة وقوة.. كنت أراها تتشكل فوقى بصور نساء لا يشبهونها وكأنها تلبسها جنيات.

وحين تتشبث بى تنادينى بلغات وأسماء مختلفة.. لقد سبغتنا لعنة القزم بأرواح مظلمة تحت قدميه ارتكبنا الموبقات..

شعرت فى داخل نفسى بأنى كالقاتل حين يضغط على الزناد أول مرة فيستبيح القتل ويصير الأمر سهلا.. استفقت على جوع للشر والإيذاء لكسر الدمى وعصر القلوب حاجة رهيبة لتخريب الجمال وإسكان الحزن بقلب إيمان..

حين تمتلئ بالشر يصير الخير شاشًا أبيض يكفن روحك.. لم أعد أطيق النور أرتاح للعتمة. لجنون رباب وأكره نظرة الاستنكار والحزن ودمعة الاحتقار وهى تنحدر من عين إيمان.. أهنتها واتهمتها بالسرقة...

وإيمان الشرف لديها والأمانة تعنى الكثير، انجرحت بالطبع وأنا شعرت بالارتواء وازدادت مساحة العتمة سوادًا وكأن وجود إيمان يبددها..

سهل حين تختار طريقًا واحدًا أن تركض فيه.. إن ما يمزق أحاسيسنا هو اليقين.. كنت أشعر من البداية لحاجتى للوصول إلى قناعة الاختيار.

تبقى أن أفهم.. ما الرابط لكل هذا؟!

ولما أشعر فى نفسى أن شيئا خفيًّا يحرك الأمور فى اتجاه معين.

كان يجب على أن أستعيد البدايات، ولعى غير الطبيعى بالغرائب وشعورى الدائم منذ طفولتى أن هناك من يتبعنى، طفل البيت المهجور حين كان يترصدنى وينتظرنى فى ساعات الليل الأخيرة لأهرب من بيتنا وأشاركه اللعب وأحترق أمامى فجأة بشىء هبط من السماء وصرخت حينها كالملسوع ليحملونى لبيتنا وسط بسملات وحوقلات أمى.

كونـــى وحيدًا جعلنى مدللا.. لكنى كنت دوما فى رفقة مع آخرين لا أعرفهم من أين يحضرون.. كان جدى صامتا دومًا وشيء فيه يعرف كيف يناديني ويحتويني بين ذراعيه ويهشهم عنى ويتمتم بكلمات.

لم أر والدى لكن قيل لى إنى أشبهه كثيرًا. حين مات جدى طار نعشه وحلق بعيدا وسط دهشة الجميع.

هناك من كبر وهلل.. وهناك من استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.

لم تبك أمى عليه، ظلت شـــاخصة البصر جامدة العين تراقب نعشه وهو يتوارى خلف الأفق.. بثياب غريبة تركت المحافظة كلها ثم ماتت فـــى صمت حين كبرت تاركة لى مدخرات كبيرة ومحلا بمنطقة راقية كانت تصلى وتحيطنى جاهدة من شيء لا أعرفه تحديدا، لكن أشعر به حولى يسير فى خطواتى أحيانا ينكل بخصومى.

كانت تســـتميل روحـــى بنقائها، لكن تعود بـــذور جدى وأبى تضرب بمعاقل روحى فأصرخ بوجههـــا وأغادر فتبكى قهرًا فى تلك الليلة التى ســـافرت فيها لطنطا، وتوقفت أمام عروض مســـرح متهالك شـــيء ما دفعنى لأجلس وأختار وأراقب راغبًا لأحدثه وأنصت له وأشـــاركه لعنته وأرى عقاب تمنعه عن قتل نبيلة إرضاء للروح الشـــريرة التى تمكنت من الاســـتحواذ على حياتـــه، كان ذليلا مهزوما مكســـورا حتى حين، رأيت الكائنات المقيتة التى تســـكن بيته واقتربت تتمسح فى قدمى، لم أستشعر ذعـــرا أو خوفا كأنها أتت من عالم أعرفه.. أذكر أنى دفعتها بقليل من الاشمئزاز وكأنى أتفهم كونها طفيليات بعالم أكبر وأكثر اتساعا له

عمالقته وطعناته كان سرًا فى دواخل النفس يحمل سرًا ومفتاحًا لكل تلك الأشـــكاليات التى وجدت لشروح تفك سره وطلاسمه.. .

فيما يخص رباب لم أكن شـــريفًا جدًا، تواصلت مع شـــخص باسم مســـتعار، واســـتطعت بمجهود متواضع أن أقنعه فى الدخول فى تجربة إحياء روح ساحرة من عصور سحيقة، كان مستشرق مهتم بثقافة معينة وهـــاو لكل ماهو غريب وفريد، تمكنت من جعلـــه عبدًا لنزواتى المجنونة ليبدأ فى اســـتحضار مجموعة تؤمن تماما بالعهد لإحياء الروح.

كنت مـــن صنع المراهم من كتيبات خاصـــة بمكتبة جدى فى بيت العائلـــة القديم.. وكنت أدير كل الأمور من بعيد وبمســـافة معقولة لأضمن النتائج، وأقنع الجزء الضئيل الأبيض فى روحى بأنه خلال وقت لن يطول ستأتى العتمة..

فى شقة زيان أنا من أهديته اللوحة بعد تعارفنا بأحد المسارح الترفيهية بوســـط البلد ليقع فى فخ مطالبتها الدائم للدم وامتصاص الرحيق من الأرواح... تلـــك اللوحة كانت من مقتنيات جـــدى، ويبدو أن وجودها كان مرهونًا بالعهد الذى قطعه قديمًا مع قوى الشـــر وورثته من بعده.

إن شـــيئًا كبيرًا كان يحيط بالأمر من أوله.. الاختيار كان محددا لكن لم أكن أملك اليقين.

كمـــا توهمت.. كما أن جزءًا إنســـانى كان يحاول ويجتهد، كان علىَّ أن أثبت أنى لست خاضعا كأبى وجدى يبدو أن والدى قاوم فعوقب وجدى استسلم وأكمل مهمة الشر ثم أورثها للعائلة.. لا ندرى من ابتدأ

كل هـــذا الجنون لكن على أن أكمل وقررت أن أفعلها بطرق خاصة.

عصفت بقوى اللوحة ووجهتها لروح ســـكنت رباب اســـتحضرتها من قلب الجحيم خصيصـــا لأصنع تلك الفوضى.

أنا من وهبت راغب قديما تمثال القزم ليقع تحت شروره ويصير خادمًا له لكن لم أخطط أن تعشقه إحدى أميرات الجحيم وتطالبه بقتل نبيلة، ولم أخطط أن يرفض فيعاقب.. لكن ساهمت فى صنع الهول الذى عاشه..

حتى زيان حـــين هرب وترك اللوحـــة اللعينة على جوع أرســـلت لى تطالبنى أن أعطيها زادها من الأرواح، أنهيت الأمر لأقنع ســـيد الشر أنى أختلف عن كل من خضع له وأنى أســـتحق شـــرف لقائه..

لم يعد هنـــاك الكثير ليحدث هذا.. أنا قادر على بذر الشـــر و صنع أقاصيص الخوف لأحقق غاية سادة الجحيم، وأجعله يبتسم راضيًا حينها ســـأنال شرف اللقاء ما دمت أملك حيل الخديعة والنفاق وكل أساليب الأبالسة فى صنع الفخاخ..

كما بالضبط أوهمتكم فى لحظـــة أنى أبحث عن الصلاح والتقوى فى نور ايمان..

أنا سفير الشر وسأشكل فى حياة كل منكم هوله الخاص حتى يتتبع غرائزه ومكامن ضعفه، ســـتكون الإنسانية كلها غيوم ضخمة بلا جناح تسير فى ركب الشر عندما يبتسم الجحيم

(تمت)

الفهرس

مقدمــة.....٣

تحت الأنقـاض ٧

فلوباتــير.....٢٣

ثغــرة ابــن يعقــوب.....٤٥

الأطياف العجيبــة.....٦٧

أجراس الســقوط.....٨٣

روح.....٩٧

الخاضــع.....١٠٩

الكنزي
ALKANZY